إلى القارئ

امتاز شهر نوفمبر المنصرم بنشاط ملحوظ فى سبيل المغرب العربى الكبير وتمت اتصالات فى مختلف عواصمه على عدة مستويات نأمل اذا صدقت النية وصح العزم أن تفتح سبل التعاون المثمر الايجابى وتمهد الى التكتل والاتحاد فالوحدة لمواجهة الدهر وفرض الوجود أمام عالم اليوم ٠

وان الذى طالما باعد بيننا وعطل جهودنا ، بعد الاستقلال ، فى تحقيق ما لم نزل نؤكده فى المقالات والخطب هو أولا وبالذات الموانع النفسية والمركبات ، التى ليس الاستعمار مبرأ من مسؤولية غرسها فينا ، والحيطة المفرطة والاشتغال بمشاكل الحاضر دون النظر البعيد الى آفاق المستقبل الحبلى بالأمانى٠

لذا كان للعمل الاخبارى والثقافى عامة مفعول بعيد فى استئصال كل الشوائب النفسانية وكل الحواجز العاطفية السلبية ، والتقريب بين شعوب المغرب الكبير وإبراز رصيد المحبة والتقدير المتبادل الذى أوجده الكفاح المشترك وتجديد مقومات الحضارة التى أشعت قرونا فى هذه الربوع وأضاءت بنورها حوض البحر المتوسط ، ثم تغذية الأجيال الصاعدة بالقيم العليا التى نؤمن بها والاهداف السامية التى نسعى الى بلوغها لتوفير الكرامة والعزة لهذا الشمال ٠

واننا فى مجلة الفكر - التى عملت ولا تزال على بعث ثقافة المغرب العربى وشجعت ولا تزال كل أدباء وطننا الكبير - نرحب بكل مظاهر التنشيط الثقافى فى مستوى بلداننا الاربعة ، ونسجل بكل ارتياح مظاهر التعاون والتقارب التى برزت فى اسبوع الثقافة التونسية بالجزائر ثم الثقافة الجزائرية بتونس ، كما نرحب سلفا باقامة مثل هذه المهرجانات بين الرباط وتونس ٠٠٠

بل اننا نود ان تتاح أسباب التلاقى والحوار بين المثقفين ، الرسامين منهم ورجال المسرح والسينما والشعراء والقصاصين والنقاد والمؤرخين وان تعقد فى هذا الصدد المؤتمرات وتنظم الزيارات الدراسية وان نتجنب الارتجال، ونعمد الى التخطيط والضبط فنسير سيرا حثيثا محكما لا يخشى الانتكاس ولا التعثر ٠

فهل يستطيع الجيل الذى حرر بلدان المغرب الكبير أن يحقق أمانى شعوبنا فى الاتحاد والوئام أو على الاقل ان يمهد الى هذه الغايات ويعبد أمامها الطريق ؟

إن ما يجرى هذه الايام يبعث على التفاؤل ٠

الفكر

برّ الذمام

في الذكرى الرابعة ليوم الجـــلاء

شعر : احمد المختار الوزير

صَوْت يُجلجِلُ، وَالضّحَى لأْلاءُ ... بُشْرَى البَشائِرِ ، أيُّهَا الشُّهدَاءُ
بُشْرَاكُمُ ، بَرّ الذّمَام ِ مُخلّدٌ، ... فينا ، فنَحْنُ . عَلَى الدّمَا ، أمَناءُ
هَذِي نَوَاظِرُنَا ، وفي أجْفَانِهَا، ... أطيافُكم ، وَالبَسْمَةُ الزّهْرَاءُ
لكأنّكم ، وَالمهْرَجَانُ بيومِكمْ. ... بين الجموع ، أعِزّةٌ أحْيَـــاءُ
تعلو، بأجْوَاءِ الفَضَا ، أعلامُكـم ... فَظِلالكم، يومَ الجَلاَ ، فيْحَاءُ
تَمشُونُ ، والافياءُ يعْبَقُ عِطرُها. ... وتموجُ ، من أفْنانِهَا ، الغَيْنَاءُ
وَعلى المروج الخُضْرِ، أشرق صَرحُكم. ... تزْهُو به أرضُ الحِمَى، وسماءُ
ويَنخرُ مَوْجُ البحرِ يَلثُم صَخرَهُ. ... وَتَضُمُّهُ ضَمّ العِنَاقِ رُخَـــاءُ

بُشْرَاكُمُ بَرّ الذّمَامِ مُخَلّدٌ. ... فينَا ، فَأَنتمْ ، بَيننَا ، سُعدَاءُ
هذا دَوِيّ الصوتِ رَدّدَ جَهرَهُ. ... آفاقُنَا ، وتَرَامت الاصْدَاءُ
قسمٌ من الشعب الابِيّ وقَائِـدٍ ... بَطلٍ له، في المُحْكماتِ ،مَضَاء
أنْ ليس يَخبُو مشعَل لُذْنَا بِهِ. ... أنْ ليسَ يَنْتُرُ في المسير حُدَاءُ
أنْ ليس تَثنينا الصعابُ. ودُونَ ما ... نَرْضَاهُ ، من آمالِنا ، الجَوْزَاءُ
فَلْيَدعُ قائِدُنا الحبيبُ فما دَعَا ... لبّاهُ حبٌّ زَاخرٌ مِعْطَـــاءُ
لبّاهُ إيمان ، وصدْقُ عَزِيمَةٍ ، ... لبّاهُ ، من شعْبِ الوفاءِ ، وَفَاءُ

ستظلّ ثورَتُنَا ، وأنتَ تَقُودُهَا ، ... بَيْضَا ، لها عَلَمُ السلامِ ، لِوَاءُ
ستظلّ صرحَ كرَامَةٍ ، وحضــارة، ... يُعليه شعب مؤمن بَنّـــــاءُ
فاسلم ، فأنتَ النورُ ضاء بهديـه ... سُبُلُ الرشادِ ، وأشرَقَتْ عَلْيَاءُ

15 — 10 — 67

احمد المختار الوزير

التأثير والتأثر في الادب

بقلم : عمر بلخيرية

إنه لمن دواعى الاعتزاز والشرف (*) أن ألقى بين أيديكم هذه المحاضرة ، وإنه لمن حسن طالعنا نحن أبناء هذا الجيل أن نحيا هذه الفترات الرائعة وأن نقضى هذه الساعات المليئة الشيقة مع باعث الأمة ورائد الفكر فى تونس ننهل من تجربته ونستوضح الطريق على ضوء عبقريته الفذة فى ظروف نحن فيها أحوج ما نكون الى توجيهه إذ نجابه العديد من دقيق المشاكل وتعترضنا كل يوم قضية جديدة من قضايا النمو المادى والتطور الفكرى ٠

إن الأدب التونسى قد انتهى إلى آخر مرحلة الطفولة وهو الآن يدخل فى طور الاكتمال والكهولة بما يترتب عن ذلك من جسيم المسؤوليات ٠ فقد دقت ساعة الاختيارات فيما يتعلق بالرسالة التى ينبغى له أن يؤديها ، والمناهج التى يريد أن يسلكها ٠ لذلك فهو فى حاجة الى العودة الى نفسه والتفكير فى ذاته ليكون على بينة من مصيره ٠ فقد يكون من الجدوى بمكان أن نعود الى تجربة أدبنا واتصالاته بالآداب الأخرى نستنطقها ونستخلص منها الدروس لاختيارات المستقبل ٠ وهذا هو ما جعلنا نختار موضوع التأثير والتأثر فى الأدب ٠

وقد أبيتم ، يا فخامة الرئيس ، بالرغم من اتساع المسؤولية وتعدد الشواغل ٠ إلا أن تولوا هذه المسائل عنايتكم وأن تشرفوا بأنفسكم على هذا اللقاء الذى ستتناول فيه قضايا الفكر ومستقبل الأدب فى بلدنا ، حرصا منكم على أن تعيدوا الى هذه الأمة روعة مجدها الحضارى بعد أن أرجعتم لها الحرية والكرامة وأن تتدرجوا بها الى أسمى مراتب الاكتمال الانسانى

(*) هذا هو نص المحاضرة التى ألقاها الأستاذ عمر بلخيرية أمام فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة فى ملتقى هواة الأدب بصقانس (المنستير) ٠

بعد أن خطوتم بها حثيثا نحو مراتب التقدم المادى ، فتكونون قد أسديتم بذلك أجل خدمة للأمة وللانسانية قاطبة ٠

« إن كل ما يصبو إليه هذا الجيل من أدبائنا هو أن يكون عند حسن ظنكم فى تحمل المسؤولية التى عهدتم بها إليه وأن يكون خير عامل من أجل الرسالة التى اضطلعتم بها لخير هذا الشعب ولخلود هذه الأمة » ٠

معنى التأثير والتأثر

الادب كائن حى ووجود يتراوح بين الخلود والزوال يكتب الكاتب قصته ويخلق الشاعر القصيد وهو يرمى الى تخليد فترات من كيانه النفسى وخلجة من خلجات روحه او فكرة خاطفة خامرت عقله فى اسرع من البرق يـريد ان ينجو بها من محق الزمن وتقلب حالات النفس البشرية التى لا يستقر لها قرار٠ فيحاول حصرها بعد ان كانت طليقة وتجسيمها بعد ان كانت محض فكر او خيال ، وليس له من آلة وحول الا اداة اللغة المحدودة القاصرة فينجح حينا ويخفق احيانا ٠

فلا غرابة اذن ان نجد من الادب مالا يولد الا ليموت ، ومالا يخلق الا ليزول وان نجد بجانب ذلك آيات من الفن باقية على مر العصور متجددة على وجه الدهر ، فانت ابن القرن العشرين – تقرأ هذه القصيدة او تلك من شعر امرىء القيس وطرفة والحطيئة وعمر بن أبى ربيعة وبشار وأبى نواس وأبى تمام والمتنبى والمعرى ، او تطالع صفحات من كليلة ودمنة لابن المقفع ، والبخلاء للجاحظ ، والاغانى للاصفهانى ، والامتاع والمؤانسة لأبى حيان ، ورسالة الغفران للمعرى ، فتجد من الفن ما تطرب له ، ومن الابداع ما يثير اعجابك ، ومن الغذاء ما يشبع عقلك ، وما ذلك الا لان فيها جمالا ثابتا مع الاجيال هو سر خلودها وهو الذى يحدو اهل الثقافة لا من العرب فقط بل ومن غيرهم ممن يعرف العربية الى مطالعتها والتمتع بها ٠ فمن منا لا يعجب بوصف الليل لامرىء القيس على تداول الناس له واى فتى لا يتأثر بفلسفة طرفة الشاعر الشاب واينا لا تاخذه دقة الوصف لطبيعة البادية المتوحشة فى قصيدة « ضيف ولا قرى » للحطيئة ٠ ثم من منا لا يهتز لعبقرية بشار وللجو السحرى الغامض الذى يحدثه خيال أبى نواس وتلاعب الضلال والأضواء فى صوره ٠ ونحن نستطيع أن نعدد الكثير من هذا ٠

ومع ذلك فانه لا يخطر بذهن كاتب او شاعر من معاصرينا ان يكتب على طريقة هؤلاء القدماء الذين كانوا بالنسبة لعصرهم ، وبيئتهم محدثين ومجددين٠ولو فعل ذلك لما استسغناه منه ولما وجدنا فى نتاجه ما يفى بحاجتنا الفكرية والادبية ٠

ذلك ان ثبوت الروعة الادبية لا ينفي ان يكون في الادب عنصر آخر هو التغير والتجدد ، ونعني به تلك النزعة الى التطور والسير في المسالك غير المبتذلة وذلك التوق الدائب الى ادراك خبايا النفس البشرية والكشف عنها لفتح آفاق جديدة للفكر والفن باستنباط قوالب طريفة واشكال غير مالوفة من الفن والتصوير والتعبير ، فالتجدد والتجديد في الادب سنة دائمة · ولو ان ادبا من الاداب توقف عن هذه الحركة التصاعدية بتحجر مناهجه الفكرية وقوالبه الفنية كما تم ذلك بالنسبة للادب اللاتيني او اليوناني لما كان مآله سوى الجمود ثم الموت مهما كانت روائعه ومهما كان ثراؤه ·

ان الادب ككل كائن حي يتطور وينمو وهو لذلك يغذى ويغذى ، يقبل ويلفظ يؤثر ويتأثر ، فعملية التأثير والتأثر هي أساس التجدد في الادب ، وهي كالتطعيم بالنسبة للجنس النباتي والحيواني بفضله تنمو خصاله ومزاياه وبواسطته تزول نقائصه الخلقية او تعالج فيطرد فيه الرقي وينتفي عنه الجمود والضعف والانقراض ·

ونحن نعني بالتأثير والتأثر هذا التفاعل الجدلي بين الاديب ومجتمعه اولا ثم بين الاديب والتيارات الفكرية الادبية الاجنبية ثانيا· فلننظر اذن في مدى التأثير والتأثر في الادب في هذين المستويين ، وسوف لا نبتدىء بالتفاعل بين الاديب ومجتمعه كما قد يتبادر الى الذهن ، بل بتأثير التيارات الفكرية والادبية الاجنبية في ادبنا المعاصر ·

لماذا ؟ لان اعظم ظاهرة امتازت بها الحركة الادبية الحديثة هي بلا منازع هذا التصادم الذي حدث بين الادب العربي من جهة والادب الاجنبي من جهة اخرى فنتجت عنه تلك التحولات الجذرية في ادبنا المعاصر سواء من حيث مفهوم الادب ووظيفته وموضوعه او من حيث اساليبه وفنه ·

ولا بد ان ندقق من الآن اننا سوف لن نتحدث عن هذا التفاعل بالنسبة للادب العربي كله فان المقام لا يتسع لذلك وانما سنقتصر في بحث موضوع التأثير والتأثر على الادب التونسي وحده ·

فلننظر اذن ما هي العوامل والتيارات الاجنبية التي أثرت في الادب التونسي المعاصر وعلى اى طريق تم هذ التصادم والتفاعل ؟ ثم ما كان مداه بالنسبة لابرز الاصناف الادبية اى الشعر ثم القصة ثم المسرح ؟ بعد ذلك نجيب عن سؤال اخير هو : ما كانت نتيجة هذا التفاعل ؟ هل ساهم في ازدهار الادب التونسي وتكوين شخصيته ام انه حاد بنا عن الطريق السوى فكان سببا في تشويه هذه الشخصية والاخلال بها ·

بـــوادر النهضـــة

لا اظن أنه من المجازفة او من الخطا القول بان بوادر النهضـة الادبيـة فى تونس قد بدأت تظهر فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين٠

نعم هناك من النقاد ومؤرخى الأدب من يرجع اصول هذه النهضة الى القرن الثامن عشر فيعد من روادها عددا من شعراء ذلك القرن كمحمد ابن محمد الوزير السراج المتوفى سنة 1736 ، وعلى الغراب المتوفى سنة 1769 ، ومحمد ماضور المتوفى سنة 1811 ، ويستخلصون من ذلك ان النهضة الادبية التونسية قد استمدت اصولها من روحها وان تيار التجديد فى الشعر التونسى الحديث قد بدأ باحياء التراث القومى القديم « فلم يرد هذا التيار ، على حد تعبيرهم ، فى محاولة التونسيين كما ورد فى محاولات المشارقة ، تبعـا لمـا تمخض عن احتكاكهم بالغربيين ، وانما انطلاقا من شعـور ذاتى صـرف تملك الـرواد المجـددين » ٠

ولو اننا رجعنا الى شعر هؤلاء الذين يعـدون من الـرواد الاول لنهضتنـا الادبية ، لوجدنا ان نتاجهم لا يمكن ان يعد من التجديد الا بكثير من التسامح٠ فاشعارهم تقليدية فى اغراضها اذ لا تخرج عن المديح والهجاء ـ تقليدية فى معانيها واساليبها ٠ اما ما قيل منها فى التصوف فهو اقرب الى الابتذال منه الى الابتكار ، وهذا نموذج منه لمحمد ابن سعيد الحجرى المتوفى سنة 1783 م٠ قال يستزير أحد الاولياء الصالحين :

هل فيكـم من جـزيل الحب ما فينـا — فـان شـوقكـم قـد كـاد يفنينـا
يا سائرين كسير الشمس سيـرتهم — والذكـر يتبعهم كالـروض تلوينـا
تقـاسمتنـا عجيبـات لبعـدكـم — فالذكر يضحكنـا والبعـد يبكينـا
لم املك الصبر اذ حان الرحيل بكـم — لا يمكن الصبـر من بعـد المحبينـا

ولا اظن أن فى هذا الشعر من الخيال وعمق المعانى وجودة الابتكار ما يثير الاعجاب او يبشر بالتجديد ٠

فالاقرب الى الصواب اذن أن نقول إن بوادر النهضة الادبية فى تونس لم تظهر الا فى اواخر القرن التاسع عشر وفى الربع الاول من القـرن العشرين وان نعتبر ان رواد الحركة التجديدية فى تونس هم ذلك الجيـل من الشعراء الذى ترأسه عن حق او عن غير حق المرحوم الشاذلى خـزنة دار وأبـرزهم سعيد أبو بكر ومحمد الفايز القيروانى وقابادو ، وسالم بو حاجب ٠

ما كان حظ هؤلاء من التجديد ؟ اظن انه لم يكن عظيما ، اذ هو لا يتجاوز تطعيم الشعر ببعض المعانى الاجتماعية والسياسية والفلسفية الجديدة وأما أهم المواضيع المستحدثة فى ذلك الشعر فهو الشعور الوطنى إلا أنه يبقى غامضا باهتا متلاشيا بين المعانى الاخرى • فلا نجد فى شعر هذا الجيل عاطفة وطنية عميقة متأصلة ، كالتى ستتجلى فى شعر مصطفى خريف بل كثيرا ما ينقلب الشعر الى مجرد مفاخرة على الغرب وتغن ساذج بماضى الامة العربية وتفوقه على حاضر الامم الاوروبية •

فهذا ما يقوله قابادو فى هذا الغرض :

ايجمل يا أهل الحفيظة انهم يبزوننا فخرا لنا كان فخمه
لقد قتلوا دنيا الحياتين خبرة فمن لم يساهمهم فقد طاش سهمه

ثم اننا نجد بعض المعانى الاجتماعية الحديثة كارتباط الانسان بالارض مع انها تبقى محتشمة مقتضبة كقول سالم بو حاجب :

علينا عباد الله خدمة ارضنا فما هي الا ، فى الحقيقة ، أمنا

على ان هذه المعانى على جدتها قد ابرزت فى غالب الاحيان فى قالب عتيق على النمط العمودى ، وفى اسلوب قلق لم يخلص بعد من الطرق البلاغية الرائجة فى عصور الانحطاط • ولنا فى الابيات الثلاثة السابقة أوضح دليل على ذلك • فالشعر التونسى فى هذه الفترة قد تجدد الى حد غير بعيد فى معانيه ، وبقى تقليديا فى اساليبه الفنية وفى خياله ، وقد يرجع ذلك الى ضيق ثقافة هؤلاء الشعراء وفقر البيئة الادبية والفكرية والسياسية والاجتماعية آنذاك فى تونس •

ومهما يكن من امر فقد كان دور هؤلاء الرواد هاما اذ انهم قد زرعوا بذور حركة ادبية تجديدية اتت ثمارها على يد زعيم التجديد بلا منازع أبى القاسم الشابى ، وسوف لا نتحدث الآن عن دور هذا الشاعر فى النهضة الادبية التجديدية وسيأتى ذلك فيما بعد ، اما الذى نريد ان نقره فهو ان هذه الحركة لم تتم ولم تبرز معالمها الا بعد مدة من الاحتكاك مع الغرب وبعد ان تمتنت الصلة بين تونس والحضارة الاوروبية •

اللقاء بين الفكر التونسى والحياة الفكرية فى الخارج

إن هذا الاتصال باوروبا يرجع الى اوائل القرن الثامن عشر ، وقد تم على طرق متعددة منها الاتصالات البشرية على طريق التجار ، ومن كان يأتى تونس وينتصب بها من الجاليات الاجنبية ومنها الاسفار التى كان يقوم بها بعض رجال الدولة وحتى البايات انفسهم الا ان هذه الاتصالات كانت تتم فى نطاق ضيق لا يشمل دائما من كانت لهم ـ بمقتضى ثقافتهم وتكوينهم ـ أهبة للاستفادة من التيارات الفكرية والادبية القائمة آنذاك فى اوروبا •

اما اول من حاول الاطلاع على النهضة الاوروبية فى مظهرها الشامل وفى مختلف الميادين الصناعية والسياسية والفكرية واول من حاول التعريف بقيم هذه النهضة واتجاهاتها فى تونس واول من حاول ان يقحم هذه القيم وهذه المظاهر لا فى عقول نخبة سياسية محدودة ، بل فى المجتمع التونسى باسره فهو المصلح خير الدين باشا .

فخير الدين اول من قاوم ما كان يغذيه رجال الدين من ريبة ازاء الحضارة الاوروبية وما كانوا يبدونه من مقاومة عنيفة ازاء كل ما تبدو بوادره من عوامل الاصلاح والتطور كتحرير المرأة والاستمداد من التشريع الحديث وتحوير التعليم كل ذلك بدعوى التمسك بالدين والحفاظ على نقاوة الايمان .

وخير الدين هو اول من نادى بتلك القيم الغربية التى كان لها مفعولها فى الادب والشعر : كالايمان بالعدل والحرية ، وعناية الانسان بما يصلح حاله فى الدنيا بقدر ما هو معتن بما يصلح حاله فى الآخرة ، والاعراض عن المعتقدات الفارغة وإقامة الدولة على أسس دستورية صحيحة ونظام محكم .

اما فى المجال الثقافى فقد كان اعظم اثر له بالاضافة الى اصلاح التعليم فى جامع الزيتونة ، وتكوين مكتبة كبيرة نظمها تنظيما حديثا وتحسين مطبعة الدولة وتوكيل نشر الكتب العلمية والادبية اليها قلنا كان أعظم أثر له ، احداث معهد عصرى ، تعلم فيه العلوم العربية والشرعية وبجانبها الثقافة العصرية واللغات الاجنبية ، نعنى بذلك المدرسة الصادقية . فلقد كانت بفضل ما تدرسه من لغات وعلوم وبفضل النخبة المزدوجة الثقافة التى أنتجتها ، الرابط المتين بين المجتمع التونسى والحضارة الغربية ، ثم بين التيارات الفكرية فى اوروبا والنخبة المثقفة فى تونس ، فالصلة الاولى بين الحياة الادبية فى تونس والتيارات الفكرية الغربية هى اذن حركة خير الدين الاصلاحية وما كان لها من أثر فى الميدان الثقافى .

اما الصلة الثانية فهى نتيجة طبيعية للاولى وهى حركة الترجمة ، وقد كان تأثر الحياة الادبية فى تونس بما ترجم من الادب الغربى عن طريقين : مباشر وغير مباشر . فما ان توفرت اداة اللغة لدى بعض الادباء التونسيين واتقنوا الفرنسية حتى اقبلوا على بعض روائعها الادبية يترجمونها ويعرفون بها ويشرحون لتلامذتهم معانيها .

اما التأثير غير المباشر فقد تم عن طريق الشرق وكل منا يعلم ما كان لصحيفة « أبولو » وصاحبها أحمد زكى أبو شادى من تأثير على عبقرية الشابى الشعرية ونزعته التجديدية ، فالشابى لم يكن يحسن اللغة الفرنسية وهو يعترف بذلك فى رسالته للاديب محمد الحليوى اذ يقول : « نسيت ان اذكر لك ان مما طلب منى أبو شادى فى رسالته الثانية ان أمده من حين لآخر ببعض الدراسات والابحاث ، وعلى الخصوص فى الادب الفرنسى .

فصاحبنا يعتقد انى اعرف الادب الاجنبى ٠٠٠ وانه ليحز فى قلبى يا صديقى ويدمى نفسى ان اعلم اننى عاجز عاجز ، واننى لا استطيع ان اطير فى عالم الادب الا بجناح واحد منتوف » ٠

اما بالنسبة للنثر فان الترجمة قد قامت بدورها كعامل تجديد وخاصة فى مجلة المباحث التى اصدرت خلال اربع سنوات ما يقرب من ستة وثلاثين مقالا وقصة مترجمة ٠

بقى ان نشير الى عامل ثالث من عوامل النهضة والتأثير فى الادب التونسى المعاصر وهو الصحافة ، لا لانها هى فى حد ذاتها من مبتكرات الغرب ومستورداته بل لانها اصبحت منذ بداية هذا القرن المعين الاول لادبائنا على الانتاج ففى صفحاتها التقى الادب المتجدد بالادب الغربى المزدهر ، فانصهرت فى تلك الصفحات الافكار وتبلورت الاتجاهات وتم بفضلها التفاعل بين الادب المترجم والادب القومى وبين مقوماته التقليدية من جهة والمقومات العصرية من جهة اخرى ٠

كان لهذه العوامل الثلاثة الحركة الاصلاحية ، وحركة الترجمة وانتشار الصحافة ، دور هام فى انبثاق النهضة الادبية فى تونس ، وكانت ثلاثتها متولدة عن تأثير الغرب وحضارته ، على ان موقف الادباء والمثقفين كان ازاء هذه الحضارة وتأثيراتها على نوعين : منهم من تحمس لهذه الحضارة وما تولد عنها من تيارات فكرية وادبية فاقبل عليها يقلدها تارة ويستلهمها اخرى؛ومنهم من تنكر لهذا الغزو الفكرى فحاول مقاومته بالتمسك بالماضى الاسلامى والعربى واقبل عليه يحيى تراثه الادبى والفكرى ويزيل عنه ما علق به من غبار مدة عصور التقهقر والجمود ؛ فكان ذلك الصراع العنيف المثمر فى آن واحد بين انصار القديم وانصار الحديث وبين بعض الشيوخ من جهة وعدد من الشعراء والمثقفين الشبان من جهة اخرى ٠

وبالرغم مما كان بين الموقفين من تناقض فقد كانا فى نظرى متكاملين ٠ فما كان للأدب التونسى لينهض لو لم يجد فى احياء القديم أساسا ينبنى عليه وآلة لغوية قابلة للصقل والتطور ، وما كان ليحصل للادب التونسى ما حصل له من الغنم والاثراء ، والانطلاق نحو آفاق جديدة ومعان حديثة طريفة لو لم يكن ذلك التفتح للتيارات الاوروبية ٠

التفاعل بين الأدب التونسى والأدب الأجنبى

فماذا كانت النتيجة بالنسبة للشعر ثم للقصة ثم للمسرح ؟

أ ـ فى الشعـــر :

اما بالنسبة للشعر فقد كان ذلك التجدد الجذرى وتلك الثورة الخصبة فى اغراض الشعر اولا وفى قوالبه واسلوبه ثانيا ٠ فقد تم التجدد فى الموضوع

والمضمون بتجاوز المعانى الجزئية التى تخللت شعر الرعيل الاول من المجددين ، وتخلى الشعر مع الشابى ـ وهو أكثر شعرائنا تمثيلا لهذه الفترة ـ تخليا كليا عن اغراضه التقليدية من مدح متملق واخوانيات فاترة وغزل لفظى ليس فيه من صدق العاطفة شيء ٠

عاد الشابى تحت تأثير الرومنطيقية الغربية الى وجدانه وتجربته فاذا به يكشف لنا حالات نفس تتراوح بين اليأس القاتم والامل العذب ، بين التفاؤل والتشاؤم ، فيصور الثورة العارمة على القيود والظلم والامتهان ويصور الحب الوديع الهادىء للمرأة للطفل للكون للانسان ٠ وقد يعجب بعضهم ان نعتبر الشابى من محبى الانسانية ! فهل يمكن ان نفهم تغنى هذا الشاعر بالحرية والحق وارادة الشعوب الا كاثبات ضمنى لهذا الحب ، وهل يمكن ان يؤمن الشابى برسالة الشاعر وقداسة الشعر ما لم يؤمن بالانسان والانسانية ٠

ومهما تحدث النقاد عن يأسه ونقمته فانه لم ينقم على البشرية الا لانه أحبها كاصدق ما يكون الحب وآمن بمصيرها كاعمق ما يكون الايمان ٠

وقد كانت العاطفة الوطنية كذلك من أبرز الاغراض الشعرية التى بعثها الاحتكاك بالغرب وقد كانت جياشة صاخبة فى شعر الشابى ، اما فى شعر مصطفى خريف فهى عميقة متأصلة فيها هدوء وفيها ترو فيها تشبث بالقيم الاسلامية والوطنية ، وفيها أيضا تطلع الى المستقبل ٠

اما الغزل فقد ابتعد عن الوصف والتغنى بمحاسن الجسد وصار مستوحى من تجربة روحية عميقة ٠

وتجدد الخيال بتجدد الموضوع فكل منا يعرف أهمية العناصر الطبيعية والكونية فى الخيال الشعرى عند الشابى بعد أن كانت منعدمة أو تكاد عند من سبقه وعند القدماء من الشعراء اما المظهر الذى لم يتحدث عنه النقاد الا قليلا فى خيال الشاعر فهو المظهر الرمزى ٠

ترنم الشابى بالغاب وبالجبال والانهار وبجمال الصبح وتشبه بالاعاصير والصقور ومع ان هذه العناصر كلها من عالم المحسوسات والجماد فهى المكونات الاساسية لعالمه الروحى ، فهى رموز للحقائق التى كان يصبو اليها : هى رمز للجمال ، للطهر ، للقوة ، ولكل نفس أبية ثائرة ٠

ولم يكن لهذه الثورة فى الاغراض الشعرية ولهذا الخيال الخصب الجامح ان يبقى على الاطار التقليدى للشعر ٠ فكان أول ما نتج عنهما تفكك هيكل القصيدة والتحرر الصريح من الشكل العمودى ومن وحدة الوزن والقافية والبيت ، واثراء الموسيقى الشعرية اثراء عجيبا مهد للقوالب الشعرية المتعددة التى استنبطها الشعراء التونسيون فيما بعد ٠

وآل تجدد الخيال الى تجديد الاسلوب فتطهرت اللغة من مظاهر الجمود

والتحجر ، المتمثلة فى الصور البلاغية المعقدة واثرت بالفاظ جديدة وعبارات مستحدثة قادرة ، بايقاعها الموسيقى وطاقتها على الايحاء واثارة العواطف والخيال ، والانتقال بالقارىء الى عالم الشاعر الساحر واجوائه الروحية •

هذه ابرز مظاهر التجديد في الشعر التونسي خلال الربع الاول من هذا القرن وهى كلها ثمرة هذا التصادم بين الادب العربى والتونسى من جهة وبعض المذاهب الفنية والادبية فى الغرب من جهة اخرى • ونحن لم نأت على كل هذه المظاهر ولا اردنا استيعابها وكل ما قصدنا هو ان نبين مدى تأثير الاداب الغربية فى الادب التونسى الحديث وما تولد عن ذلك من النتائج بالنسبة للشعر •

ولئن كان هذا التأثير ـ كما اشرنا سابقا ـ مباشرا وغير مباشر فى مجال الشعر اذ هناك من هذه المناهج الفنية ما اقحمه الشعراء الذين تمكنوا من الاحراز على ثقافة مزدوجة عربية وفرنسية كسالم بن حميدة وهناك منها ما أتى على طريق الصحف الادبية الشرقية ، فان الامر لم يكن كذلك بالنسبة للقصة •

ب ـ فى القصة :

فالقصة التونسية ليست مدينة للشرق العربى فى شىء ، فهى وليدة تفاعل مباشر بين الثقافة التونسية من جهة والثقافة الغربية من جهة اخرى •

وسوف لن نعتمد فى التدليل على هذا القول على مقارنة التواريخ اذ انه مما لا نزاع فيه ان القصة العربية الشرقية قد سبقت القصة فى تونس بسنين كثيرة ، فالاولى قد ظهرت الى الوجود مع « عرائس المروج » لجبران 1906 و « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى 1907 ، ثم « زينب » لحسنين هيكل،وقد تلتهما بعد ثمانى سنوات • فى حين ان القصة التونسية لم تظهر الا خلال الربع الثانى من هذا القرن على يد على الدوعاجى ومحمود المسعدى فقد نشر الاول قصته « حول حانات البحر الابيض المتوسط » حوالى 1932 ، وظهرت « مولد النسيان » للمسعدى فى افريل 1945 وكذلك بعض حلقات من احاديثه • هذا اذا ما اعتبرنا من باب التمهيد رواج الاقصوصة المؤلفة او المترجمة قبيل ذلك بقليل على يد أدباء لم يكتب لهم ان يبرزوا فى هذا الميدان مثل مصطفى آغة والشاذلى خزنة دار وسعيد الخلصى وعبد العزيز الوسلاتى •

فالقصة العربية الشرقية قد سبقت اذن القصة فى تونس ومع ذلك فانه لم يكن للشرق اثر يلمس فى الفن القصصى التونسى واول ما يدعو الى هذا الراى هو ان القصة التونسية لم تستوح من نفس الاصول العربية التى اعتمدها كتاب القصة الشرقيون •

فاغلب النقاد يرى ان القصة فى الشرق ان هى برزت الى الوجود تحت تأثير الغرب فقد استمدت اطارها الفنى واسلوبها من فن أدبى قديم هو فن المقامة ،

الذى نسج على منواله ناصيف اليازجي فى مجمع البحرين (1865) واحمد فارس الشدياق فى كتابه « الساق على الساق فيما هو الفارياق » ٠

فهل كان الامر كذلك بالنسبة للقصة التونسية ؟ اظن ان القصة التونسية كما وضعها المسعدى ترجع الى اصول ادبية عربية ابعد من المقامة وهى اقرب ما تكون فى اسلوبها الى القصص العربية القديمة واساطير الجاهلية ، نشعر بذلك عند قراءة « مولد النسيان » و « حديث القيامة » و « حديث البعث الاول » ، اما المصدر الثانى لاسلوب القصة عند المسعدى ولو كانت فى صيغة مسرحية فهو القرآن وهذا جلى واضح فى السد ٠

اما على الدوعاجي فان تأثير القرآن ظاهر فى قصصه نلمسه بوضوح مثلا فى « أم حواء » أضف الى ذلك اننا لا نجد فى القصص الشرقية ما يشابه من قريب او بعيد قصص المسعدى والدوعاجي سواء من ناحية المنهج او الموضوع والافكار او الاسلوب والمبنى ٠

ولعل ما اثبتناه الآن من ان القصة التونسية لم تمر من طور المحاكاة للشرق وانها كانت نتيجة تفاعل مباشر بين الثقافة العربية والغربية فى تونس هو الذى يفسر لنا تأخر ظهورها اذ كان من الطبيعى ان يتطلب هضم الثقافة المزدوجة فترة مديدة من الزمن ٠

فالمسعدى لم يتأثر بالادب الغربى عن طريق الشرق بل تأثر به مباشرة ، تأثر به فى مضمونه ومعانيه واتجاهه الفلسفى ٠ فمؤلفات المسعدى هى قصة الانسان يجد نفسه أمام الفراغ المهول وأمام سخرية الاشياء وانغلاق الكون عن فهمه وهى تحليل لذلك القلق الوجودى (l'Absurde) الذى تعرض له سارتر فيما بعد وتحدث عنه « كامو » فى بعض قصصه ومؤلفاته وهى تأملات حول جدوى اعمالنا وقدرة الانسان على الفعل والخلق ٠

وتأثر المسعدى بالادب الغربى فى اسلوبه فنحن نجد الى جانب التأثير القرآنى العربى المتمثل فى تلك الجمل المتينة المقتضبة التى تهز فكرك هزا وتلهب خيالك صورا والى جانب الترتيلات التى هى اشبه ما تكون بابتهالات الكهنوت ، نجد نزعة غربية محضة تتمثل فى ظاهرتين :

اولاهما : تأثر الكاتب بالادب الرمزى ، فأوجه الشبه كثيرة فى نظرى بين رموز السد وشخصياته ورموز «مالارمى» Mallarmé وشخصياته الميثولوجية٠

أما الثانية : فهى تأثره بالادب المنغلق بما يتضمنه ذلك من احتقار للضعف البشرى واستنكاف الاديب من ان يبذل فنه وشعره لانسانية قد لا تدرك روعته وكنهه ، فهو أسير السخافة البشرية وهو الطائر الذى تعوقه اجنحته عن التحليق فى أعلى الاجواء الفكرية فينطوى على نفسه ويكتب لذاته ٠

وعلى الدوعاجي هو ايضا تأثر بالغرب الا انه لم ينهج المنهج الفلسفى لقد كان على الدوعاجي ـ حسبما رواه صديقه المرحوم فريد غازى ـ شغوفا بمطالعة الصحف اليومية يستوحى منها مواضيعه ويتغذى مما يجده فيها من احداث يومية

تطلعه على نقائص المجتمع وعيوبه ، ويحلل من خلالها النفس الانسانية تحليل موليار اللاذع المر فينتقدها ويسخر منها، وهو لا يعمد الى التحليلات النفسانية المملة ولا الاعتبارات الفلسفية والاجتماعية حسب الدكتور فريد غازي فهو قبل كل شيء فنان ادرك جوهر القصة فجعل اهم بحثه فيها عن العقدة ، وهو يتبع فى وصفه وتحليله طريقة الامريكان المعروفة بعين الكامرا التى اتبعها (Hemingway) و(Steinbeik) الا ان اكثر الكتاب تأثيرا فى الدوعاجي حسبما يراه فريد غازي وحسبما صرح له به القصاص التونسي نفسه هو (Jack London) صاحب رواية (Le Pâtre des Etoiles) وقد كتب الدوعاجي رواية عنوانها « راعي النجوم » ٠

هكذا يتبين لنا ان قسط الادب الغربي فى ظهور الأدب القصصي التونسي كان من الاهمية بمكان فالقصة التونسية لم تبرز الى الوجود الا تحت هذا التأثير ، مهما كانت الاصول العربية التى استندت اليها ، فكل من المسعدي والدوعاجي عرف الفرنسية وتأثر بآدابها كما ان كلا منهما كان يمتاز بثقافة عربية متينة متأصلة فلا غرو ان يكون أدبهما اروع مثل لانصهار الثقافتين واطيب جنى تجنيه الثقافة التونسية الجديدة الناشئة ، وكذلك الامر بالنسبة لكثير من القصاصين والشعراء الذين برزوا فى السنوات الاخيرة ٠

ج – فى المسرح :

بقى لنا ان نتعرض الى نوع ثالث من الانتاج الادبي وهو الروايات المسرحية والحقيقة ان المسرح فى تونس كان اقل حظا من الشعر والقصة على الاقل بالنسبة لما نشر او لما كتب له ان يظهر على المسرح فلم تجد عليه الايام والظروف بعبقرية كالتي جادت بها على الشعر فى شخص الشابي او على القصة فى شخص المسعدي والدوعاجي ٠

ويكفينا ان نذكر ان المسرح اتانا على طريق الشرق من مصر ٠ فقد دخلت احدى الفرق المصرية تونس لاول مرة سنة 1906 فى نفس الفترة التى قام فيها المرحوم محمد بورقيبة بتأسيس اول فرقة مسرحية تونسية وهي فرقة « النجمة » ، وكانت تعمل تحت ادارة ممثل ايطالي ، ولم يمر وقت طويل حتى اندمجت الفرقتان وواصلتا العمل بتمثيل روايات مترجمة عن مسرحيات اوروبية مثل « روميو وجوليات » (لشكسبير) و « السيد » (Le Cid) و « سنا » (Cinna) للشاعر المسرحي الفرنسي « كورناي » (Corneille) وبعض مسرحيات لـ « موليار » (Molière) و « هيقو » (Hugo) ٠

وتواصلت المبادلات مع الشرق فى السنين الموالية فقدم الى تونس فى سنة 1921 الممثل المشهور جورج ابيض فقدم مسرحيات فتح بيت المقدس والحروب الصليبية ولويس الحادى عشر وغيرها ٠

وعرف النشاط المسرحي فى تونس شيئا من الفتور ما بين 18 – 1914 من جراء الحرب لكنه لم يلبث ان عاد الى حياته بمجيء يوسف وهبي سنة 1927 فمثل غادة الكاميليا والبؤساء (لهيقو) ثم بمجيء فاطمة رشدى سنة 1932 ونجيب الريحاني سنة 1935 ٠

وبالرغم من ان المسرحيات كانت فى مستوى غير ممتاز ان لم نقل ردىء ، وبالرغم من انها لم تكن تمت بصلة للواقع التونسي والروح التونسية ومطامح الشعب التونسي فى ذلك الوقت فقد كان الاقبال عليها عظيما • وسرعان ما انتبهت ثلة من التونسيين كحسن الزمرلى ومحمد العقربى ومحمد الحبيب الى اهمية المسرح فى مجتمعنا وما ان ادركت مهمته على وجهها الصحيح ورسالته التثقيفية والاجتماعية حتى حاولت التخلص من تبعية الشرق وتقليده وعملت على ابراز مسرح تونسى له مقوماته واتجاهاته • الا ان المسرح التونسى بقى رغم ذلك ضعيف المستوى قليل الانتاج لاسباب قد يطول الوقت لشرحها •

ومهما يكن من امر فان هذا اللقاء بين الادب العربى التونسى والحضارة الغربية قد كان فترة حاسمة فى تاريخ حياتنا الفكرية وهى ان لم تتولد عن نتاج ضخم فى الشعر والقصة والمسرح فقد فتحت للادب التونسى آفاقا جديدة سيواصل فيها سيره وكانت الخطوة التمهيدية لفترة ما بعد الاستقلال وللنهضة الشعرية والقصصية والمسرحية التى نشهدها فى تونس منذ عشر سنوات خلت ، فقد عرف الادب التونسى منذ الاستقلال انطلاقة جديدة وحياة ازخر واثرى من الحياة التى عرفها قبل الاستقلال ، وكان دخول تونس فى فترة من العمل السياسى الحاسم والمقاومة المسلحة فى اواخر الخمسينية الاولى واوائل الخمسينية الثانية من هذا القرن قد شغلت الادباء عن الانتاج والتفكير الا انه ما ان انجز الاستقلال السياسى حتى راجت سوق الادب وظهرت فى أفق الفكر كواكب جديدة وحلت محل العوامل الاجنبية او قل تغلبت على العوامل الاجنبية عوامل داخلية قومية ، فوجهت الادب نحو مناهج جديدة أهمها :

1) ــ تقهقر شعر الوجدان والذاتية الذى بلغ اوجه مع الشابى أمام شعر الالتزام بمظهريه الفلسفى والاجتماعى وانتقل محور الشعر من « الانا » الى الشعور الجماعى ولم يعد الشاعر ذلك النبى المجهول ينبذ قومه وينبذونه بل اصبح منهم واليهم يتغنى بآمالهم ولآلامهم يتأثر ، يغذون شعره ببطولاتهم واعمالهم بمشاكلهم ومطامحهم وهو ينير أمامهم السبيل بشعوره وحدسه ويكشف لهم عن حقيقة الفن والكون والجمال ويغرس فى القلوب الجافة والعقول المتحجرة انبل المطامح واسمى المبادىء والافكار • ولعل ابرز امثلة نضربها للشعر الملتزم المتفلسف هم : المختار الوزير ، وجعفر ماجد ، ونور الدين صمود ، والصادق مازيغ ، وللشعر الملتزم ذى الاتجاه الاجتماعى : مصطفى خريف ، وأحمد اللغمانى ، ومنور صمادح •

2) ــ تحرر يكاد يكون كليا من القيود الشعرية نجده خاصة عند محمود التونسى ، ومحسن بن حميدة •

3) ــ حدوث نفس التحولات فى اتجاه القصة من حيث موضوعها فلم تعد

مستلهمة من المشاكل الذاتية ولم يعد محورها تجربة المؤلف الوجودية او بعبارة اصح لم تعد قائمة على هذا العنصر وحده كما هو الشان فى قصص المسعدى ، ، كما ان القصة خرجت من طورها التصويرى الوصفى البحت كما انتهجه الدوعاجي • فمصطفى الفارسى ، ورشاد الحمزاوى ، ومحمد العروسى المطوى يصف كل منهم المجتمع البدوى بمعتقداته العتيقة وعقليته المتأخرة او حياة الشباب فى العاصمة بما فيها من تهور وقلة اكتراث لا كما يرسم الرسام لوحته بل ان غرض النقد واضح جلى فى مؤلفاتهم والدعوة الى الاصلاح لا لبس فيها والعمل على بعث روح وطنية وثابة وعقلية متفتحة قابلة للتطور لا يقتصر على الايماء • حتى لكأنك تشعر أن هذا الاتجاه يبتعد فى بعض الاحيان بالعروسى المطوى عما يقتضيه الابداع الفنى فتنقلب بعض الصفحات فى قصته « حليمة » الى مقال وعظى •

هذا من حيث الكيف اما من حيث الكم فاغلب الظن ان الادب التونسى لم يعرف فى تاريخه فترة اكثر خصبا واعظم انتاجا من التى عرفها فى هذا العقد الاول من الاستقلال •

وقد نتج عن ذلك بروز هذا الادب الجديد المتشبع بالروح التونسية المتغذى من المجتمع التونسى ، ونحن إذا وافقنا بعض النقاد ممن يقول ان الشخصية الادبية التونسية لم تكتمل فاننا نعتقد ان بعض ملامح هذه الشخصية قد برزت بعد وانه ليس لاحد ان ينكر ان هناك ادبا تونسيا يتميز عن الادب الشرقى من جهة والادب الغربى من جهة اخرى فى اساليبه ومواضيعه ومناهجه ، وان الخطى التى انجزت خلال السنين الاخيرة لاكبر دافع على الاعتقاد انه سوف لن يمر طويل وقت حتى يفرض الادب التونسى نفسه كأدب طريف مكتمل ممتاز •

على انه قد يكون من الغرور ومغالطة النفس ان نعتقد اننا بلغنا الغاية فى هذا المجال واننا اصبحنا نعد من العبقريات ما تعد الاداب الاخرى ، وان اخطر ما نخشاه ان يوهمنا توفر الكم بسمو الكيف وحرى بأدبائنا ان لا يغفلوا عن ان السير ما زال طويلا والطريق شاقة لتسفر كل هذه الجهود عن أدب تونسى رفيع متأصل تتجلى فيه روح تونسية جلية المعالم ويتميز بمذاهبه فى التفكير والتحليل النفسى او الاجتماعى وبأساليبه الفنية والتعبيرية •

ولئن كان لتقصير أدباء الرعيل الاول عذر فى افتقار المجتمع التونسى وخموله فقد صار هذا المجتمع اليوم لا يقل عن المجتمعات الاخرى خصبا وحياة وان لادبائنا الناشئين فى هذه الثورة الزاخرة التى نحياها وفى مجتمعنا الاشتراكى المتطور فى مجهود الفلاح التونسى وفى مجهود العامل فى صراعه المقدس من اجل الحياة فى آماله ويأسه فى إرادته وعجزه فى انتصاراته وانهزاماته أمام الفقر والجهل أمام مركباته الاجتماعية والنفسية لادبائنا الناشئين فى كل ذلك مادة لا تنفد ومعين لا ينضب •

فشرط الاديب الحق عندى هو اليقظة للواقع والبيئة والنفاذ لما يخالج المجتمع من عواطف وافكار وما ينطوى عليه من خير وشر ومن سمو ودناءة لا ليقدم للقارىء من هذا الواقع صورة طبق الاصل بل ليصوغ منه عملا فنيا يسبغ عليه من فكره وروحه وفنه ما يرفعه الى اعلى مراتب الجمال فيصبح الواقع نقطة انطلاق للخيال المنشىء والفكر المبتكر للقيم الجديدة فاذا العمل الفنى المنبثق من الحياة ينقلب بدوره خلقا للحياة ٠

وقد كان لأدبائنا فى اوائل هذا القرن معذرة عن التقصير فى جبروت المستعمر وعمله على مسخ شخصية هذه الامة وتجميد افكارها واطفاء روح الحياة والخلق فيها ، اما اليوم فقد هبت ريح الحرية وقامت دولة العقل وارتفع الجهل وانجلى عن الضمائر كابوس الخوف والتضليل فاستيقظت الافكار بعد جمود وانطلقت الالسن بعد صمت وحل محل الشعب الخامل شعب يعى وشعب يسمع ٠

ولقد توفرت لأدبائنا ذات اليد وتكافأت الاسباب من طباعة ونشر عن طريق الاذاعة والتلفزة والصحف لتروج سوق الادب ويبلغ أثره اقصى ابعاده وليخرج من عزلته وجموده وعجزه وقد اصبحت العناية شاملة وازداد التشجيع لكل من يجد فى نفسه اهبة للابداع والخلق وليس ادل على ذلك من حضور رئيس الدولة وباعث الامة فى هذا الحفل وبين هذه المواهب الناشئة ٠

واظننى ايها السادة قد اتيت على اهم جوانب هذا الموضوع الحيوى موضوع التأثير والتأثر فى الادب ، وقد اتضح لنا ان الادب التونسى الحديث لم ينشأ منعزلا على نفسه وانما هو حصيلة تفاعل دام نصف قرن بين عوامل متعددة مختلفة منها ما هو خارجي اجنبى ومنها ما هو داخلى قومى ، وليست هذه التجربة – على طرافتها – الاولى من نوعها فقد كان الادب العربى على مر العصور عامل تأثير ومحل تأثر ، تأثر بالادب الفارسى واليونانى فى العصور الاسلامية الاولى وأثر فى الاداب الغربية من خلال أدباء الاندلس وصقلية ، الا ان الفارق بين تلك الفترة وهذه ان العرب كانوا فى كلتا الحالتين الاوليين فى وضع القوى سواء فى الميدان السياسى او العسكرى ، ونحن اليوم فى حالة الضعيف ، فكانت العملية بالنسبة لنا دقيقة خطيرة تهدد كياننا كامة ، كما تهدد شخصيتنا الحضارية وقيمنا الفكرية والانسانية ، الا انه لم يبق اليوم فى نظرى مجال لهذه المخاوف ٠

لقد اثبتت التجارب ان للادب التونسى والعربى من التاصل ورسوخ الذات ما يسمح له بمجابهة هذه التيارات وان يتفتح لها ويتفاعل معها دون ان يهدد كيانه المسخ او الاضمحلال وسواء أحببنا أم أبينا فقد اصبحت عملية التفاعل والتأثير والتأثر عملية حتمية بالنسبة لكل الاداب مفروضة فرضا على كل المجتمعات ، تفرض عليها من الخارج ان هى رفضتها من الداخل وتتسرب اليها من حيث لا تشعر ان هى انغلقت دونها من حيث تشعر ٠

في عصر الذرة والصواريخ في عصر المكالمات اللاسلكية عبر الكواكب الصناعية في عصر اخترعت فيه الاذاعة والتلفزة تكشفان لك كل يوم خبايا العالم وتقدمان لك باللفظ والصورة في كل مكان وفي كل حين ما يطرا على الضمير العالمي وما يخامر النفوس البشرية ، فاذا انت تستمع عبر الاثير الى جلبة الكون في نشاطه الصاخب المتنوع واذا انت تشهد حياة الانسانية المتدفقة في خلافاتها ووئامها في صفائها وكدرها ، واذا انت تتبع من بيتك ومن مقعدك كل ما تمخضت عنه العبقرية البشرية من عجيب الاختراعات وطرائف الافكار وبدائع الادب والفن في عالم اكتظت طبقاته الفضائية بالمبادلات الفكرية ، وتلاقحت فيه العقول والاخيلة لا في مستوى الفرد وحده بل في مستوى الشعوب قاطبة في مستوى الملايين من البشر في هذا العصر وفي هذا العالم اصبح من العسير بل قل من المتعذر على المجتمعات ان تعيش منطوية على نفسها منفردة بكيانها وعلى الاداب ان تبقى منعزلة بافكارها واحاسيسها دون ان يتسرب اليها الافلاس والتقهقر والفناء ·

هناك من ادبائنا اليوم من يحبذ التأثير والتأثر ومنهم من لا يرتاح الى ذلك ، وان مثل هذا الجدال في نظري لا يعني شيئا بالنسبة لعصرنا ، وليست المسألة في رفض التفاعل او قبوله فنحن في هذا المضمار لسنا احرارا في اختيارنا ، اذا نحن اخترنا التقدم ومواكبة العصور والايفاء بقسطنا سواء عاجلا او آجلا في بناء الحضارة العالمية وفي تطور الفنون والاداب الانسانية ، واذا نحن اردنا ان لا نعيد خطيئة اجدادنا في عصور الجمود والتقهقر ، ونحن نلمس اليوم ما اضعناه وما لحقنا من خسارة من تلك الفترة التي عاش فيها الاسلام والعرب منطوين على انفسهم في غفلة عما يجري حولهم ، فاذا كان هذا التطور وهذا التفاعل والتمازج والتلاقح هو مصير البشرية غدا فاحرى بنا ان لا ندخل المصير قفزا الى الوراء ، وان نسير فيه عن تبصر وتفهم ·

انه من حقنا ان نختار اسلوب الحياة الذي هو اسلوبنا وان نعتز بالتراث الادبي الذي هو تراثنا الا انه لا يجوز لنا بوجه من الاوجه أن نجهل العالم المتحضر من حولنا ·

افلا يليق بهذا الجيل ان يحاول السير فوق القمم الشاهقة لا لشيء الا ليتبين الى ابعد حد ممكن طريقه على السفح وبين المرتفعات والوهاد وليختار للاجيال المقبلة اسهلها واوضحها · والسلام ·

عمر بلخيرية

* الحماس *

شعر : نور الدين صمود

الأهـــداء

الى الاستاذ احمد بن صالح الذى سيقول اثر قراءتها « هذه بضاعتنا ردت الينا » لأنه هو الذى أوحى الى بفكرتها فى اختتام مهرجان هواة السينما بقليبية يوم 12 ـ 8 1967 » .

* * *

ـ ا ـ

زَهْرَةَ تَزْهُو بِأَلْوَانِ الرَّبِيعِ
تَصْرَخُ الحُمْرَةُ فِي أَوْرَاقِهَا
كَخُدُودِ الغِيدِ فِي أَيَّامِ عِيدْ
تَكْتَسِي الحُمْرَةَ مِنْ أَشْوَاقِهَا

* * *

وَفَتًى يَزْرَعُ فِي حَقْلٍ خَضِيرِ
دَوْحَةً فَيْنَانَةً تَغْزُو السَّمَا
زَهْرُهَا يَفْتَرّ كَالثَّغْرِ النَّضِيرِ
يَتَهَادَى وَيُحَاكِي الانْجُمَا

* * *

تَحْتَهَا يُمْسِكُ فَلاّحٌ نَشِيطٌ
فَأْسَهُ ، رَمْزَ جِهَادٍ وَكِفَاحْ
وَعَلَى مَرْمَى ابْتِسَامَاتِ غَرَامْ
غَادَةٌ رَمْزُ وِئَامٍ وَنَجَاحْ

يَمْلآنِ الارْضَ خَيْراً وَاخْضِرَارْ
وَيَشُقَّانِ ثَرَاهَا بِالدَّأبْ
يُرْوِيَانِ التُّرْبَ مِنْ مَاءِ الجَبِينْ
لِتَصِيرَ الارْضُ فِي لَوْنِ الذَّهَبْ

* * *

– ب –

مَوْجَةٌ زَرْقَاءُ حُبْلَى بِالجِهَادْ
تَقْطَعُ الامْيَالَ عَزْماً وَاقْتِدَارْ
رَأسُهَا كَلَّلَهُ شَيْبُ الجِلادْ
وَعَلا ، هَامَتَهَا إكْلِيلُ غَارْ

* * *

فَوْقَهَا المَلاَّحُ فِي رَقْصٍ مُثِيرْ
سَامِعاً عَزْفَ الرِّيَاحِ الصَّاخِبَهْ
وَبِكَفَّيْهِ حِبَالٌ تَلْتَوِي
كَأفَاعٍ ثَائِرَاتٍ غَاضِبَهْ

* * *

وَنَسِيمٌ ... يَا نَسِيماً يَتَهَادَى
وَيُغَنِّي فِي شَوَاطِي مَوْطِنِي
لُطْفُهُ مِثْلُ سَجَايَا أهْلِهِ
أوْكَلُطْفِ الوَرْدِ ... أوْكَالسَّوْسَنِ

* * *

فَأحِبُّوا أرْضَكُمْ ، يَا إخْوَتِي،
وَأحِبُّوا بَعْضَكُمْ حُبّاً عَمِيقاً
وَافْتَحُوا أذْرُعَكُمْ ... وَابْتَسِمُوا
تَفْتَحُوا لِلْخَيْرِ فِي الارْضِ طَرِيقا

نور الدين صمود

قليبية فى 14 – 8 – 67

(*) العنوان أيضا من وضع صاحب الفكرة .

مناجاة شاعر

يسرنا أن ننشر فى هذه الصفحات قصيدا للفقيد الشاعر أحمد خير الدين كان بعث به الى الشاعرة الناشئة آنذاك زبيدة بشير مرفوقا برسالة رقيقة بليغة ٠

واذا كان الفقيد أحمد خير الدين عرف بين التونسيين بفكاهته اللطيفة ومرحه وقدرته على تصوير النفس البشرية وطول باعه فى سبك المعانى نثرا وشعرا بالفصحى والعامية ، فان هذا الأثر الذى ننشره لاول مرة يدل على نفس حساسة تفيض انسانية وتتوق الى الاخذ بيد الأدباء الناشئين ٠

وهل أحدب على الخير وأنبل أخلاقا وأرق شعورا وأعرف بخبايا الحب من شاعر ؟

وأحمد خير الدين يظهر لنا من هذا القصيد الى جانب نبل اخلاقه وسلامة طويته وحبه الخير للانسان رجلا شرب كأس اليأس الى الثمالة وخاف على أديبة ناشئة أن تصاب بمثل الداء الذى أصيب به ، فكشف عن مكنونات صدره بصدق الصادق فى شعوره وأحاسيسه ٠ وهو بهذه الوثيقة يعين الباحثين على استجلاء شخصيته واستنكاه بواطن شعره

ـ الفكر ـ



أحمد خير الدين فى حديث مع زبيدة بشير

الى الأديبة الناشئة الآنسة زبيـدة بشيـر

حفظهـا اللـه

سيِّدتي * :

شاعر حلب الدّهر أشْطُرَهُ . ابتلى النّاس واختبر ، فلم يجد فيهم الا ذئابا في مسوك بشر . فانطوى على نفسه يعيش يومه بذكريات أمسه . سابحا في لجج خياله ، مشببا بعرائس آماله . هذا الشاعر يهدى قصيده إلى روح حالمة شاعرة ، وعاطفة متأجِّجة ثائرة . إلى زهرة لامَسَ قلبها لفح من حر الغرام ، وتَنَشَّتْ بنفحة من رحيق الهُيام فغنَّتْ وحنَّتْ ، وتَأوّهَتْ وَأنّتْ .. ثم حلَّقتْ بروحها في سماء الاحلام كشحرورة فقدت الاليف . وتحوّل ربيعُها إلى خريف . فدأبت تبحث وتجدّ في التفتيش عَمَّنْ تود لتُودعه سرّها ، وتقاسمه حلوَ الحياة ومرّها . عساها تبلغ بغيتها ، وتبني معه عشّ سعادتها حقّق الله لكِ الامل ، وحماكِ من مواطن الزّلل ..

والسلام معاد عليك من مُجلك :

أحمد خير الدين

(*) الرسالة بتاريخ غرة أوت 1959 ·

التعاليق ورسم الكلمات وحركاتها وعنوان القصيد «اعتاب» من وضع الشاعر

اعتاب (1)

شعر : احمد خير الدين

لاَ شَيْءَ يُذكي لوعة المشتاق   غيرُ الفراق وأدمع العُشّاق
وتروعه أنّاتُ قلب شَفّهُ   من حبه غَنْج (2) ومرّ فراق
إنّ المصائب جمّة وامضُّها   بلوى المُحب بعلّة الإخفاق
وهيامُ مشبوب الشعُور بدُمْيَة (3)   مجبولة (4) من قسوة ونفاق
وصلاة صبّ شاعر في هيكل   لم يحو غير حُثالة وحماق (5)
وغناءُ (مَعْبد) (6) للأصمّ وللألى   لا يفقهون سلامة الاذواق
وشكاةُ شاعرة جواها للذي   زعم الهوى في قبلة وعناق
ظنّ العواطف والقلوب كسلعة   بالمال تبتاع من الأسواق

* * *

شحرورة الخضراء لا تبكي على   حب دعي في الهوى ملاّق
لا تقنطي ، لا تأبهي بمُبدّل   طير الرياض بضفدع نقّاق
ما أنت إلاّ درّة لألاءة   يُخشى عليك شراهةُ السُّراق
ما أنت إلاّ زهرة فوّاحة   بسمتْ بغصن طيّب الاعراق
أغرى (زنابير) الهوى منك الشّذى   فدنتْ لتنفع غُلّها برحاق
لا تعذلي فدْما غبيّا ارعنا   جهل الجوى ورسالة العُشّاق
صوني عفافك ، واهزأي من قولهم   مفتونة شبّتْ عن الاطْواق
إن كنْت (شاعرة) فلاتخشيْ هُرا   فئة الطغام . عصابة الفسّاق

---

(1) الاعتاب : يقال اعتبه ، ازال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لاجله وارضاه .
(2) الغنج : الدلال .
(3) الدمية : الصنم .
(4) مجبولة : مخلوقة ومفطورة .
(5) جمع أحمق .
(6) معبد : رجل مشهور بالغناء وحسن الصوت .

وَاستمرئي عيش التبتل ريثما   يُمحى ظلامُ اليأس بالإشراق
وتخيّري للحبّ قلبا شاعرا   لم يتّسم بفضاضة ونفاق
ولئن بُليت بمرهق فتجمّلي   فالحرّ لم يخنع إلى الإرهاق
أرأيت عود الطيب لم يعط الشذا   حتى يصاب بنكبة الإحراق ؟

* * *

إنّي عجمتُ (الحبّ) ابغي كُنهه   فمنيتُ منه بخُلّب ألاّق
وقطعتُ فجرَ العمر في أصفاده   لم أفتكر يوما بفك وثاقي ..
لكنْ إذا مال الحبيبُ إلى الجفا   بادلتهُ هجرا بغير تلاقي
والصفحُ في شرع الهوى عمّن أسا   رمزُ الرّضى في الحبّ بالإملاق
لا كان لي حُبّ ولو أقضي جوى   إن كان هذا الحبّ عن إشفاق
هذي خواطرُ شاعر أوحتْ بها   مأساةُ قلب شاعر خفّاق
هذي عواطفُ شاعر يا طالما   كتبَ القصيدَ بدمعه المهراق
لم يغر غانية بساحر شعره   كي لا يلقّب بالفتى العملاق (1)
لم يجن من روض المحبّة والمنى   غيرَ العنا والشوك والأوراق
وسواه ينعمُ بالورود وينتشي   بسلافة مُزجت بظلم الساقي
لا عتب لي عمّن بحرماني قضى   ذي حكمة خفيتْ عن العشّاق
حسبي إذا ما قيل : هذا شاعر   صبّ يدين بأنبل الأخلاق

* * *

صوتُ الولاء أهابَ بي فأجبتُه   لبّيك .. إنّ الشعرَ رُقيةُ راقي
شحرورتي خلّي أساك وردّدي   لحنا يُؤجّجُ خامدَ الاشواق
واستقبلي فجرَ الشباب ببسمة   قدسيّة فتّانة الإشراق
واستنزحي عينيك من دمع الاسى   فالسحرُ والإغراءُ في الاحداق
(فنهاية القلب) الذي حطّمته   (بدْء) لعهد مشرق الآفاق
فاليأسُ في شرع الحياة جناية   بل موتة للنّاشىء السبّاق

في جويلية 1959   **احمد خير الدين**

(1) العملاق بكسر العين : من يخدعك بظرفه .

من باب الكتاب

قصة بقلم : محمود بلعيد

لا اذهب الى الكتاب الا قليلا ٠ كثيرا ما اصل الى باب الكتــاب ، فافطن الى حيلة ، فاعود الى الدار واقول لأمي : ان المؤدب ذهب ليقرأ على جنازة ، او انه ذهب لكتابة صداق ، او انى وجدت امام باب الكتاب ابنه البشيـر فاخبرنا بمرض أبيه او ان المؤدب دعي اليوم الى حفل ختان ، وراح كل الاطفـال معه لانشاد « الهلالو » ففضلت الرجوع الى الدار لان الصياح يوجـع لي رأسى ، وربما يمرضنى ٠

هكذا كنت استعمل حيلا عديدة ، لكى اعود الى الـدار ٠ امـا فى الايـام الجميلة ، فكنت اتجول فى شوارع المدينة ولا ارجع الا عند منتصف النهار ٠ فاطلب الفطور كعادتي ، والح فى طلبه حال دخولى ، واجعل آكل ، وانا احدث أمى عن كل ما يجول برأسى ٠ فاقول لها : لقد محوت اليوم لوحتى يا أمى ، وانى استظهرت سورتى أمام المؤدب بسرعة فائقة هذا الصباح ، فابتسم لى حين انتهيت ، وقال لى :

« انت رجال ! رجال ! وقمقوم يا علي ! توا امح لوحتك !)

ثم اقص عليها كل ما لقيه بعض الاطفال من ضـرب ، واسمى لها البعض منهم ٠٠٠ وعندما انتهى من تناول الفطور ، اقول لها : الآن يجب ان اعود الى الكتاب لكى يتمم المؤدب املاء سورتى الجديدة ٠ ثم اخرج من الدار لاتجـول من جديد فى انهج المدينة وازقتها ٠

لكن كنت افضل البقاء فى ايام الشتاء فى الدار ، بل فى الفـراش ، فـلا افارقه الصباح كلـه ، وقد اتقنت ما كنت اتدبـره ، وهو ايهـام أمـى بانى مريض ٠ ومن الليل اشرع فى تنفيذ خطتى ٠ فابقى اول السهرة مع والدى بدون ان اتكلم ، وانا اتململ واكثر من الاتكاء على مرفقى حتى اجعل أمى تهتم بى فتكثر النظر الى اولا ، ثم لا تلبث ان تدنو منى فى آخر الامر وتقول لى :

ــ « آشبيك يا علي ؟ »

فاجيبها بتثاقل ،

ــ « شيء ما بى » ٠

ــ « لا ٠ ما تقليشى شى ما بيك ، عينيـك محـوقين وانت لا كلمـة ولا سلمة » ٠

– « لا قتلك شي ما بي » ·
فتضع يدها على رأسي ، وهي تنظر الى بعين فاحصة متحيرة ·
« ووه يا وليدى ، راسك سخون كالنار ، برا لفرشك خيرلك » ·
وهكذا احقق اهدافى الاولى ···

واذهب الى فراشى ببطء وتثاقل ، واظل زمنا اتقلب ثم انادى أمى طالبا الماء – ثلاث مرات عادة – ارغم نفسى على الشراب حتى اجعلها تتاكد من انى تعب حقا ، مريض حقا ، محموم حقا · وبعد ذلك ، اكف عن طلب الماء ، واسلم نفسى الى نوم هادىء عميق ، وانا مسرور فى قرارة نفسى بما فعلت ···

وفى الصباح · امكث فى فراشى بدون حراك · لكن سرعـان ما اسمـع سعال أبى ، وتنقله فى غرفته ويتضح لى سعاله عندما يفتح الباب ، ويشتد حين يمر امام غرفتى ، ويتفاقم ثم يغيب شيئا فشيئا عند دخوله المطبخ ·

ويمضى زمن لا اسمع فيه شيئا · ثم يعلو صوت أبى فجاة وهو يجيب او يسأل أمى · ويكف زمنا وينطلق من جديد · ولا اسمع خـلال ذلك حـديث أمى ، اذ كان صوت أبى يعم ارجاء الدار فى الصباح بهديره ، فيملأ غـرفتى رعبا ، ويستولى على ويدنو منى بنظراته المستعرة الحادة ، يتوعدنى بصفعاته ، وكانه اسد يزأر ، فارتعش وانكمش فى فراشى ·

وكثيرا ما تاخذنى غفوة من شدة الخوف · وكنت استيقظ غالبا على صوت أمى وهى تحدث عمتى وسط الدار ؛ وقد تقدم الصباح وتسرب نور باهت من تحت الباب ومن النافذة الى غرفتى يعلن الى اقتراب وقت ذهابى الى الكتاب ·

ويداخلنى الامل ، وارتاح حين اسمعها تقول :

– « ليلة كبيرة على على ، راسه عمل فيه · هات المـاء · جيب المـاء ··· مارقد وهجع الا اعقاب الليل » ·

او تقول لها :

– « صباح الخير يا فاطمة · تعرف والله ما عرفتش آش نعمل مع رأس على المحنـون · سـاعة سـاعة ، يتحيـر عليه · هـذه غلبـة كبيـرة ! البـارح ما ارقدشى ··· »

او تقول لها :

– « على مريض يا فاطمة · وليدى ما ظاهرلى ينجم يمشى للكتاب اليوم · وجهه اصفر · البارح فى السهرية كاملة ، والسخانة تاكل فيه · والماء ، الماء ، الماء ··· »

وعندما اسمع مثل هذا القول اتيقن بانىلست ذاهبا الىالكتاب هذا الصباح،

لكن في غالب الاحيان ، كنت لا اسمع حديث أمي ؛ فابقى في فراشي مضطجعا قبالة الحائط ، ملتفا في غطائي ، مغمضا عيني ، منصتا الى انفاسي ، موهما نفسي باني مريض ، وباني لا استطيع حتى التحرك او حتى فتح عيني ، وباني في نوم عميق ، ولا فائدة في ازعاجي ٠ وعلى الرغم من ذلك ، فلا يمكن لي ان اظل في فراشي طويلا بعد ان تتسلل الى دقات ساعتنا الكبيرة المعلقة امام باب الغرفة وابقى انتظر بفارغ الصبر بلوغ الثامنة اذ بعد انقضائها يفوت وقت الدخول الى الكتاب ، ويضرب المؤدب كل المتأخرين ضربا مبرحا ٠

واسترق النظر من تحت غطائي الى ساعتنا ٠ واثبتها مليا ٠ فيبدو لى انها تددنن ساكنة ٠ وان تحركت ، فان تحركها بطيء شديد البطء واسمع دقاتها دقة دقة ، كانها تقول لى غامزة هازئة : « قم ! قم ! قم ! لقد فطنت ! قم ! قم ! »

لكنى اتمالك ، فاتناساها ، واتشاغل بالعبث باصابعى او بثنايا وسادتى وغطائى ، واغمض عينى ، واخفت من انفاسى ، واتناوم ٠ وعلى الرغم منى ، تبقى اذناى مصغيتين متصيدتين كل ما يجول داخل ساعتنا ٠ ورويدا رويدا تعود الى دقاتها ، فتملؤنى غضبا ، فانظر اليها بعين ناقمة ، واذا بها تشير دائما الى السابعة ٠٠٠ فاقفز من فراشى واثب على البنك ، وافتح اطار الساعة وادير عقربها الطويل بسرعة٠ وعندما اعود الى فراشى ، اجدها قد انتقلت الى السابعة وعشرين دقيقة فافكر ، حينذاك ، فى اصدقائى الذين يسرعون الى الكتاب ، بينما وقف المؤدب يراقب دخولهم واحدا واحدا ، ويعدهم عدا ، وينهرهم نهرا ، ويشتمهم شتما ، ويتوعدهم والعصا فى يده ٠ والقى بنظرة الى ساعتنا واذا بها تشير الى السابعة والنصف ٠ ان مؤدبنا لا يسمح لاحد منا ان يطأ عتبة كتابه بعد الثامنة ولو بدقيقة واحدة ٠ لكن القبقاب يدنو ، ثم يدخل الغرفة ، ويقترب منى ، ثم ينقطع وقعه واذا بأمى تقول لى :

ـ « على ، يا على ! هيا قوم ودبب نفسك خطيوة خطيوة للكتاب » ٠

فتقع هذه الكلمات كالصاعقة على رأسى ، فاجتهد فى التناوم ولا اجيبها ، واتركها تنادينى مرتين او ثلاثا ٠ ثم تمد يدها وتدخلها تحت الغطاء بدون ان تزيحه ، ثم تبحث بها عن راسى فوق الوسادة ، وتضعها على جبينى ؛ فاجيبها بصوت شبه مضطرب :

ـ « يامى شربيه ماء » ٠

فاسمعها تقول :

ـ « الصبر ! الصبر ! السخانة عملت فيك ، توا نجيب لك شويه حليب خير » ٠

واسمع قبقابها يبتعد شيئا فشيئا ثم يدخل المطبخ ٠ واشعر بها تنقص من

سرعة خطاها ، وهى تقترب من الطاولة وتمد يدها الى « الكاسارونة » ، وتصب الحليب فى كأس • الآن امتلات الكأس وقد امتلات فعلا اذا سمع وقع الصحن على « الكاسارونة » • ويعود القبقاب من جديد ، ويقترب وقعه شيئا فشيئا حتى يدخل غرفتى • ثم بهمسة ثانية :

ـ « قوم !••• اشرب » •

فلا اجيبها •

ـ « هيا قوم ! »

ـ « ايه هات ••• »

واجلس ، فتضع لى يدها اليمنى وراء ظهرى ، واقدم راسى ، وامد شفتى ، واتلقى كأس الحليب ، واشرب بلهف حتى افرغها ثم اقول لها :

ـ « عطشان ، عطشان نحب الماء » •

فتجيبنى بحنان :

ـ « يكفى يا وليدى • توا السخانة تزيد عليك » •

وهكذا اعود الى النوم ، وقد فرحت ، وتيقنت من الحصول على هذا اليوم كله كذلك •••

* * *

ذات صباح ، كنت اتناوم متوقبا اعلان الثامنة كعادتى ، وانظر بين لحظة واخرى الى ساعتنا الكبيرة ، لكن لم اطق الترقب طويلا ، فالقيت نظرة خاطفة الى الباب ، ثم انطلقت نحو الساعة كعادتى ففتحتها ، وقدمت العقرب الطويل بعشرين دقيقة • وعدت الى فراشى بسرعة • ولم تمض لحظة حتى رفع عنى الغطاء ، ونزلت على راسى ضربة هائلة ، واذا بأمى تصرخ بى فى عنف :

ـ « هذى اعمالك يا كلب ؟ يا رهدان ! تعملى روحك مريض ! قوم ، قوم من حينك • توا للكتاب ••• »

وترجنى رجا عنيفا ثم تنتزعنى من الفراش ، وهى تصيح :

ـ « والله عرفتك يا كلب ! ترهدين صافى ! والله لما انهزك آنا للكتاب • يا منزوس • لما يندب لك سعدك المدب ••• »

واقبلت على عمتى مهرولة ، مشتعلة العينين ، ممتدة الذراعين ، فافتكتنى من يد أمى بقسوة وهى تصرخ :

ـ « هات هولى الكلب قلت لك يا خيرة راهو رهدان ! »

والبستنى ثيابى على عجل ، محدقة لى بعينيها :

ـ « والله يا خيرة لاما انهزو بيدى للكتاب ! والله يا كلب الاما تتحمل ، وتاكل على مشومتك ! اليوم نهارك ازرق ! ... »

وبصاقها يتناثر فى وجهى . ودفعتنى امامها فتمنعت ، وتمسكت بباب الدار قائلا :

ـ « قبل ما نمشى انحب نفطر يامى » .

ـ « فطورك اليوم طريحة عند المدب » .

وتناولتنى من ذراعى ، ورفعتنى عن الارض ، ووضعتنى على ظهرها ، ثم اخذت تهرول وانا اتدلى واخبط برجلى ، واصيح مناديا امى ، وابكى واشهق وعندما اقتربنا من باب الكتاب انقضضت على رقبتها وعضضتها بغيظ وبكل قواى . فالقت بى دفعة واحدة على الارض ، وصاحت :

ـ « يا غدار يا كلب يا غدار . تقدمنى يا غدار ؟ »

وجذبتنى اليها ، واخذت تقرصنى وتمعس خدى حتى احسست انهما قد قلعا منى . فاطلقت صيحة هائلة ارتجت لها هذه الغولة الهائجة فمسكتها من شعرها ، وجعلت اجذبه حتى بقى شىء منه فى يدى وخدشتها باظافرى ، ونطحتها ولذت بالفرار . وسرعان ما غبت عنها ، فاخذت اتجول فى الشوارع ، وانا افكر فيما يترقبنى عند عودتى .

لقد افتضح امرى ، وفطنت امى الى كل حيلى . فمن المستحيل ان اتكلف المرض فى المستقبل . فالى الكتاب كل يوم ، الى الكتاب دائما . ولا شك سيزداد غضب امى عندما تعود اليها عمتى منتوفة الشعر ، مخدوشة الوجه . وانى مسرور بانتقامى هذا لقد انتقمت لى اظافرى الصغيرة من تلك الغولة الماكرة ، وقد انتقمت لى اسنانى وانتقم لى راسى . لكن ستترقبان عودة أبى ... سامضى الليلة مربوط اليدين والساقين بدون طعام ولا شراب . وساحمل غدا الى الكتاب قهرا ، وساشبع ضربا . من الاحسن الا اعود الى الدار سابقى حرا بعيدا عن كل ما يترقبنى من عقاب ...

هذه جولتى اشرع فيها بفرح وسرور ادخل الازقة زقاقا زقاقا . واذا وجدت اطفالا فى طريقى ابادر باللعب معهم . وان أبوا ضربت أحدهم وحين ياخذ فى الصراخ اهرب ضاحكا ولن تمضى لحظة حتى اسمع اسم أمه او أخته الكبيرة او خالته تصب على وابلا من الدعاء والشتائم ...

لكن بدأ المطر ينزل . فاتجهت نحو اول « ساباط » داخل زقاق طويل كان فى طريقى . ومكثت هناك زمنا اترقب انتهاء المطر . وكان فى آخر « الساباط » دار لها باب ازرق مفتوح على مصراع واحد . فشاهدت اول الامر رجلا يخرج ، وفى يده مفتاح كبير ، ويتجه الى مخزن تحت « الساباط » ، فيفتحه ثم يخرج

منه بعد قليل ، فيحكم غلقه بالمفتاح ، ويعود الى الدار وفي يده مطرقة • ورأيت بعد ذلك طفلا يخرج من الدار ، ففهمت انه ابن الرجل • فيتجه الى المخزن بدوره وبيده المفتاح ، فيفتح المخزن ويغيب برهة ثم يخرج وفي يده منشار • ويغلق المخزن بصعوبة ويعود الى الدار •ولم تمر لحظة حتى يخرج من الدار الرجل والمفتاح في يده وبينما هو عائد الى الدار بعد غلق المخزن وبيده سطل نزلت دجاجة حمراء من نافذة المخزن وهي تنق ، وتنقض ، ملوية الجناحين ، متمايلة ، جازعة • فيقتفي الرجل اثرها قائلا لها بهدوء :

ـ « هيا هيا مريم ابركي ابركي »

وسرعان ما تقف الدجاجة وتبقى رافعة الجناحين ، مطرقة ، مترقبة ، ساكنة ، مفتوحة المنقار ، ظاهرة اللسان ، لاهثة • فيتناولها الرجل بين يديه ، وياخذ يداعب ريشها وراسها ثم يقول لها :

ـ « توا الصندوق • الصندوق »

ويرجع بها الى المخزن ، ويفتحه وهو ما زال يخاطبها ، وهي هاجعة مصغية بين ذراعيه •

ـ « ما عادش تخرجي يا مريم ! بيضي ديما في الصندوق ، موش في الشارع • اسمعت يا غنجة يا بنت سيدها ؟ »

ويغلق نافذة المخزن بلوحة ثم يعود الى الدار ثم يخرج الطفل بدوره ، وبيده براد تاي • فيفرغه من الحشيش بجانب باب الدار • وقد أخذ البخار يتصاعد ••• فالعائلة كلها في الدار تطبخ التاي والرجل والطفل وأمه واخوته كلهم يشربون ، يتحدثون ، يضحكون ••• اشعر بالجوع اريد الخبز والجبن وقليلا من التاي • لا ، بل اريد قطعة كبيرة من الخبز وقهوة ••• ان ابنهم لا يذهب الى الكتاب ، انه يبقى بين ابويه صباح مساء ياكل ويشرب ويلعب ويمرح ؛ ومن حين لآخر يذهب الى المخزن انه لا يريد الذهاب الى الكتاب بل هو يريد الحلوى عوض الكتاب رايت حنكه فيه قطعة حلوى • لاحظته منتفخا ، فهو لا ينفك يلوك ، وشفته الحمراء ما تنفك تصعد وتهبط ، وهو يبعث بنخرة ليعيد الى أنفه ما كان متدليا على شفته العليا في خضرة غامقة • كلب عظيم يخرج من الدار ينبح ويعدو • اجري افر يقتفي اثري • اجري واجري • الرجل يناديه النباح يقترب مني اكثر فاكثر • يعضني انه يعضني نباحه يبتعد يكف • أقف وانظر الى رجلي اتاملها فلا اجد شيئا •

لكني بدات احس بالجوع اسمع عن بعد : يا بروبطه يا بروبطه ، ذوق قبل ما تشري ، هاو الحي الحي توا جاء من بحره • ادخل اسواق الحلفاوين • رجال كثيرون يمرون ، يقفون ، يشترون ، يتحدثون هات زوز كيلو يا خوي • هاو الورد يا طماطم صباح الخير يا سي محمد والله لما تجيء يا سي الهادي •

هات قته نعناع صباحك مبروك ، صباحك زين صباحك دقلة وحليب • رجال يتشاجرون سبابهم يعلو • الراس يقترب من الـراس الاصـابع تقتـرب من العين • الكعبة واختها ، ما انبيعش بالفرز • الصيـاح • الصيـاح • امرأة تجذب ابنها من يده • الطفل يتملص ، يبكى ، يقف فتجره الأم وتدعو عليه • بر بالك ، بر بالك ، ايس ، ايس قدم • هاو الحمص المنفخ هات قته بصل • لا ياسر عشرين ، ثلاثة دورو برك كان تحب تبيع • نص طزينة سلق• الارجل تتحرك القفاف تتمايل بجانب الارجل قفتان ، ثلاث ، اربع ، خمس ، بيضاء وزرقاء وحمراء • بيضاء • عكاكيز تدق الارض • ارجل • ارجل • ارجل عارية صغيرة وسخة • احذية لامعة ، نصف لامعة ، وسخة ، غير لامعة ، جـديدة بدون سيور ، بدون وجه سفاسر ، سفاسر بيضاء • دورو كـلافز ، ودورو معدنوس • شربة بارده يا عطشان • هاو الزهـو هاو الـوطن لا ، مـا زال البـاقى ، شـم ، شـم قتلك شـم • سفـاسر مشمـرة ، سفـاسر نصف مشمرة وسخة • الوحل يتطاير وراء الارجل من تحت الاقدام • رجل سمين ، رجل اسود • رجل أزعر • رجل له انف طويل • أوجه مختلفة عين تنظـر يمنة وعين مفقودة يا بابا ما نحبش نبيع نـح يدك دبـر على روحك ، فك على يا سيدى ، ها الصمامه ، ها الصباح المبـروك • رجـل يشبـه ابى • اهرب التفت : لا ، لا ، ليس ابى • افواه افواه تتحدث تصيـح ، تشـد اطـراف السفاسر •• افواه حمراء ، افواه تبتسم ، افواه عليها شوارب طويلة ، واخرى سوداء او بيضاء او رمادية يا عمر يا عم حميدة ، يا عم حميده • ديارى ديارى ملسوقه ديارى هاو الكرشه دورو فلفل زينة ، خموسية زيت • نعطى لاختى كل ما تحب اختى ، صباح الخير يامى ، صباح الخير ياولدى لا • لا • ماله بطلت ما نشريش • تحطى الخامج اخزرلها هاذى خامجه الكيلـو بـدورو ، بدورو ، الكيلو بعشره • هات برج قـرع يا ولـد ، ودورو حمص منفـخ ، وعشره قارص ؛ هاو الخبز طبـونه • عمى فاك العينين اللطف على من العمى نموتو احنا اللى يحبـك امـوت ، لحمـات هـائلين ما زال يرضع فى الحليب يـا خـوى ، ما زال يرضع فى الحليب يـا بابـا ، ما زال يرضع فى الحليب يا سيدى اللحوم معلقه ، عظيمة حمراء ، اكتاف معلقـه اوراك معلقـه جزار منهمك فى عمله ، يقطع اللحم بسرعة • يعمل فيه سكاكين مختلفة • انظر الى ما بين يديه بشره • لو كنت عـوضه لمسكت بسكينـه ولقطعت احسـن لحمة ، وذهبت بها الى الكوشة انى احس بجوع شديد ، امعائى تضطرب • انى اتعجب كيف يبقى الجزار امام هذه اللحوم كلها بدون ان يحس بجوع لم لا يحس بالجوع مثلى ؟ يقصب فوق قرضة ، فتات اللحم والعظام تتطاير كالشرر من تحت ساطوره • عند كل ضربة : هه ! هه ! اسمع عند كل ضربة همهمة كهمهمة المؤدب حين يهوى باحدى عصيه على الارجل الصغيرة البيضاء • صار يدخل سكينه فى فخذ العجل ، يديرها بسرعة فائقة ينتزع من الفخذ قطعا طويلة ، صغيرة ، عظيمة ، حمراء ، او شبه بيضاء منتفخة ، او شبه زرقاء ؛ لها فقاقيع تشبه فقاقيع الصابون •• اخذ الجزار يصفر لقد ظهرت قصبة بيضاء ملساء طويلة لها

راس غليظ ؟ ثم اخذها ورمى بها فى قاع الحانوت المظلم ، ومسح عرق جبينه بكمه والتفت الى اللحوم المكومة واخذ ينظفها ، ويمسحها ، ويقطعها ، ويرتبها امامه ؛ وراس العجل معلق ، ينظر الى الناس بعينين غائرتين طافئتين وهو لا يهتم بشيء وفى فمه سيقارو ، ولعابه سائل طويل رقيق كخيط صيد تحت اشعة شمس ، لو كنت هذا الجزار لغلقت حانوتى ، وقصدت الكتاب ، والقصبة فى يدى ، ولصعدت الكتاب بخطى ثابتة ، ولضربت بها راس المؤدب بلا انقطاع حتى يسيل دمه ، ويغمى عليه · فاصب عليه ماء المحبس ، فيفيق ، فاعود الى الضرب ، وانا اقول عند كل ضربة انزل بها على راسه : هه ! هه !· اضربه بلا رحمة ، بلا شفقة ، لانه يضرب الاطفال بلا رحمة ولا شفقة ، اما انا ، كما قلت : لااذهب الى الكتاب كثيرا ، واذا ما ذهبت لا اجلس امام المؤدب ، بل اختفى وراء اكبر طفل ، فيمر النهار ، فلا ينتبه الى ولا ينادينى وياتى المساء بسلام : انى لم اضرب ولو مرة واحدة ، لم اذكر انه اشبع ساقى ضربا · كان يهاب ابى كما قيل لى ! لكن الحقيقة ليست هذه · بل كنت اختبىء فلا يعثر على !···

* * *

بقيت اتجول زمنا طويلا فى أزقة وانهج اجهلها · واذا بى اسمع صراخ اطفال ، فاخذت اتتبع الاصوات شيئا فشيئا ، فجعلت تتضح اكثر فاكثر : « ··· نكته من سفل ، التاء اثنينا من فوق ، الثاء ثلاثة من فوق ··· » ثم انخفضت الاصوات ، وتخاذلت حتى كادت لا تسمع ، واذا بصوت شديد يصرخ فيهم :

ـ « هيوا اقراوا يا كلاب ! »

فتعلو الاصوات لحينها مرتعشة ، ويشتد الصياح حتى تكاد تختنق الحناجر ، لكن لم تمض بضع دقائق حتى تفتر الاصوات وتسكن فيعود الصوت الشديد باغلظ واهول من المرة الاولى : فيهز الاطفال هزا عنيفا مزعجا ، فتنطلق الصيحات من جديد مختلفة الاوزان ، متسابقة ، متلاحقة : « أليف لا شى عليه ، الباء نكته من سفل ، التاء لا شى عليه ، الثاء ثنينا من فوق ، الجيم ثلاثا من سفل ، الحاء اثنينا من فوق ··· وحدة اثنين من سفل » ويهتز الاطفال متمايلين يمنة ويسرة· ثم يعم السكوت فجأة ، وبعد قليل··· يصرخ طفل :

ـ « يا سيدى تائب ! والله تائب الشفاعة ··· انـ ··· انموت هكه يا ربى !··· »

كانت عصا المؤدب تهبط بسرعة على ساقى الطفل والطفل يبكى والمؤدب يلعن ويشتم :

ـ « يا كلب هه ! هه ما حفظتشى سورتك ؟ الله يهلكك ! هه ! هه ! توا جمعه خوذ : هه ! هه ! ·· »

وتوالت الضربات على ساقى الطفل المسكين ثم كفت وبقى الطفل يصيح واذا بى اسمع :

ـ « اسكت اسكت والا توا رانى انزيدك !

وكف الطفل عن الصياح لكنه ظل ينشج خفية وهو يتلوى ... ومضت دقائق لم اسمع فيها شيئا ، وبغتة ارتفع صوت طفل آخر ، وعادت العصا الى الضرب فى قسوة . وصوت المؤدب يلعن :

ـ « يا كلب ! يا كلب ! هـه ! هـه ! توا نقتلـك ! هـه ! هـه ! حتى الدم يسيل من ساقيق ! هه ! هه ! اليوم مائه ! والله مائه !...

... صعدت الادراج بحذر ، ونظرت الى الاطفال بنصف عين ، واذا بهم فى سكون رهيب ، واذا بالمؤدب ينظـر اليهم واحـدا واحـدا ، وهو يهمهم فصرخت بمل فمى :

ـ « يا مدب يا كلب !.. يلعن !.. ويلعن !.. ويلعن !... »

وأطلقت ساقى مع الريـح . لكن لم ألبث ان سمعت : سب المـدب ... شد شد ... سب المدب شد شد ! « فالتفت ، واذا بالبشيـر ابن المـؤدب و « الطاهر كربيلا » يجريان خلفى فدخلت اول نهج لقينى ، وجعلت التفت ، واختلف يمنة ويسرة فى انهج مجهولة ، متشـابهة ، ملتـوية ، متـلاقية ، متفرقة حتى تيقنت بانه من المستحيل اقتفاء اثرى . لكن ، جعلت التفت من حين الى آخر ... ثم خففت من سرعتى ، وبقيت ألهث من شدة العدو .

وسرعان ما قذفنى نهج الى شارع باب سويقة ، بين حـوانيت الحـدادين فسررت بالمفاجأة ولم اكف عن الالتفات . وامضيت زمنا انظر الى الحـدادين وهم منهمكون فى عملهم ، يدخلون قطعا من الحديد مختلفة الحجم فى النار ، ثم يخرجونها وقد صارت حمراء ، فيهوون عليها بمطارق ، فتعجبت كيف أصبح الحديد لينا مطواعا ، ومكثت اتفرج طويلا ... كم الساعة ؟ الثالثة ؟ الرابعة بعد الزوال ؟ الخامسة ؟ رجال جالسون فى المقاهى ، هاو لـرتى والحلـوزى ، اصواتهم تملا اذنى لا يكفون عن الصياح : جيب شربه مـاء ، زوز قهـاوى ، أرشم ، رجل جالس وحده ينظر الى المارة يتثبتهم هاو لرتى والحلوزى ، رجل يقرأ جريـدة جمـاعة ملتفـة حـوله تنصت الى كـل كلمـة تخـرج من فمه ارشـم ، بـرميله باجـى ، يا عبد الستـار حسـن راهـو اتعـدى وينشـد عليـك ، هـات قـازوزه ، رجـل يتمخـط فى محـرمة كبيـرة مـربـوطة فى فرملته ، جمـاعة تتحـدث ، هـاو لـرتى والحلـوزى وجمـاعة تتحـدث ارشم يا يويو هات كعبة ، حل كفك ور هات آش عندك رجل يفتل شاربه . زينة زينة زينة آه يا بنت الهنشير يا زينة ، رجل يضرب على الطاولة على لحن

الاغنية ، رجل ينظر الى عصفور القهوة . هات حاره ارتي ، يا ولد . اعطني طابع سكر ، ارشم . رجال يدخلون ، يجلسون حول طاولة ، ارشم ، انهم سعداء . يدخلون ويجلسون في المقاهي كما يشتهون لا يذهبون الى الكتاب مثلي قبل الثامنة ، ارشم لا يترقبهم المؤدب عند باب الكتاب والعصا في يده لو أصير رجلا في هذه اللحظة ، هاو لرتي والحلوزي . لو اجلس بينهم واترشف قهوة واستمع الى الغناء ولا اعمل شيئا .. بل أظل انظر الى عصفور القهوة حينا والى المارة حينا ، والى لاعبي « الشكبة » ... وان تكون لي اموال كثيرة واولاد لا ارغمهم على الذهاب الى الكتاب ، ولي امراة او امراتان او ثلاث واسكن في بيت جميل ، ولي قطة بيضاء ، وكلب صغير ... صفعة هائلة تنزل على راسي اشعر بالارض تدور . ظلام . نجوم لا يحصى عددها صفعة ثانية ، صفعة ثالثة ، ورابعة . اتمايل ، اكاد اسقط على الارض لكن ، امسك من أذني واجرجرا وصوت أبي يملؤني جزعا وهلعا :

ـ « آش تعمل يا هامل ؟ تهرب من الكتاب ؟.. هاني شديتك !.. اليوم باش نقتلك !.. » احاول الفرار . اقفز لكن وجدت نفسي ممسكا من ذراعي بيد من حديد ...

يفتح أبي باب الدار ، فيدفرني ، فاسقط لحيني ، وتظهر أمي ، وتنظر الى بحيرة ، وتخرج عمتي معصوبة الرأس وكانها تقول لي إيبه باش تاكل طريحة يا غدار الليلة مشومة اعليك » .

ويصرخ أبي :

ـ « هات الحبل يا خيره ! »

ـ « يا بابا سامحني والله ما نعاود صنعتي »

ـ « إيه توه تشوف يا كلب »

وتدنو أمي بخطى مضطربة ، فيختطف الحبل من يديها ، ويجذبني اليه ، ويرفع ساقي ويلوى الحبل ويسب ويجذب يدي ويلوى بقوة ، ويجمع يدي بساقي ويلوى ويضغط اصيح صيحة هائلة من شدة الالم ، واتمنع واتخبط. ويمسك أبي عصا ويقحمها في فمي فاحس بوخزة أليمة داخل حلقي اهتز ، يزداد صياحي وبكائي انادي أمي اتقلب محاولا فك قيودي لاهرب لكن لم استطع شيئا ، وتدنو أمي رويدا رويدا ، ثم تهمس لأبي :

ـ « بالله يا سي صالح يكف ، يكف . هاك ضربت هاك ربيت ! »
فيلتفت اليها أبي ويجيبها بغضب :
ـ « خليني ! فك علي ! توا ادبر على اش نعمل »
فتتشبث بيديه ، مستعطفة :
ـ « بربي يا سي صالح ، بربي يزى برحمة للا ، يزى ! »

فينظر اليها :

ـ « عيب عليك ! عيب عليك يا خيرة ! »

ـ « هاك ربيت ! هاك ضربت يا سى صالح ! ما اكسبنا فرد طفل ! نقتلوهش ، ونرتاحو ؟ هذاكا ربى آش اعطى ! »

ـ « اتحب يطلع هامل ؟ اتحبه يطلع شيات بياع سواڤر ؟ »

ـ « الدايه من الله ! كان اطلح لروحه وكان اصلح لروحه ، آش نعملو ؟ عملنا اللى أعلينا »

فينظر اليها أبى ، فيجدها تبكى ، فيخرج من الغرفة مزمجرا حانقا ...

أظل ابكى وحدى فى الغرفة زمنا ... وتقبل أمى وتقول لى :

ـ « يا بو العمايل ! اعطاك طريحه ، شعيره لحرج لك روحك ! . »

لكن لم استطع جوابا . احس بدوى فى اذنى ، وبصداع فى راسى ، صارت عيناى كانهما جمرتان... تعبت من طول البكاء... بقيت العبرات تخنقنى . أبى يحدث أمى فى الغرفة المجاورة ... ما زال غاضبا لا يكف عن الخصام ... سيتابع معاقبتى ... سيتابع بدون شك ـ ذلك هو دابه ... اخذ صوته ينخفض ، يهدا شيئا فشيئا ... يسكت مضت دقائق لا اسمع شيئا ... واتت أمى وبيدها مقص ، وجعلت تقص الحبل بدون ان تكلمنى او تنظر الى .

وقالت لى بعد ما انتهت من حل قيودى :

ـ « بر لفرشك فيسع . بوك حلف الليله ما تتعشا بشى ! »

ارتميت على فراشى ، فشعرت براحة كبيرة ، وبقيت بدون حراك ، خوفا من عودة أبى ، ومن ضرباته المفاجأة على راسى من فوق الغطاء ... بدات احس بألم داخل فمى . فتحسست حلقى بأصبعى فوجدته مؤلما داميا فجزعت ، وتيقنت بانى سأموت ، وانى اريد ان اموت انتقاما من أبى لكن سوف تبكينى أمى .. وترتاح عمتى ، لكن اريد ان احدثك يا أمى ، اريد ان احدثك واقول لك ان عمتى ضربتنى ضربا مبرحا فى الشارع وانها جذبت خدى حتى كدت أموت فعلت ذلك فى الشارع بعيدا عنك لانها لا تستطيع ان تضربنى فى الدار امامك انها تخافك انها تعرف انك لا تريدين ان يمسنى احد وساقول لك انها تكرهنى كرها كبيرا فهى من حين الى آخر تسدد الى نظرة من نظراتها النارية المحذره فى الدار اذا فطنت الى بعض حديثها مع الجيران ضدك وكانت تقول لى : « والله لو تقول لأمك اتشوف آش نعملك » كنت اخافها اهابها لكنى انتصرت عليها اليوم انتصرت عليها حقا لقد نتفت

لها شعرها ومزقت لها خديها وشتمتها وانتصرت عليها وسمعتها يوما تدعو عليك بالموت ـ فبكيت سرا ولم استطع ان اقول لك شيئا كنت غبيا اخافها كثيرا كانت تنتقم منى عندما تذهبين الى الحمام او تذهبين الى بعض زياراتك كانت تضربنى بدون شفقة لا تتركنى العب فى الدار او فى الشارع واذا مددت يدى الى بعض لعبى انقضت على كالغولة وضربتنى • وكانت تدخل الى المطبخ من حين الى آخر وتاكل الفحم بشاهية غريبة وتدخل بيت المونة وتاكل كل ما يطيب لها وكلما مددت يدى الى بعض امتعتنا وكلما اقتفيت اثرها كشت فى وجهى : « ها البلا ديما وراى كالحمة انت » انى الاحظ حركاتها وتنقلاتها فى الدار عند غيابك انها تدخل غرفتك وتجعل تقلب ملابسك قطعة قطعة وتفتح خزانتك وقلسك وتنظر فى كل امتعتك بشره حينا وبغضب حينا آخر • ومرة ارتدت بعض ملابسك وجعلت تتجول فى غرفتك وهى تغنى • ومرة لست ادرى ماذا اصابها جذبتنى اليها وجعلت تقبلنى بحنان كبير • وانى اعرف من افسد احدى سكاكينك الفضية • عندما سألتها وانبتها غضبت وزعمت انى صاحب الفعلة لا بل هى التى قطعت بها خشبة كبيرة كنت انظر اليها وهى تنزل على سكينك بيد المهراس وانى كنت انتقم منها نصف انتقام • انها لاتستطيع ضربى امامك انها تبتسم لك لكنها من اشد اعدائك لم لم ترفضى وجودها فى دارنا ؟ لم لم تطرديها ؟ اعرف انك لا تستطيعين عصيان أبى وانك لا تستطيعين ان تطلبى منه هذا كله قوتك هى الصبر مهما كان الامر انك لا تريدين ان تفوهى بكلمة تخدشين بها ضمير أبى لكن عمتى لا تكف عن الحديث فيك بين الجيران حتى صاروا لا يكلمونك الا نادرا عندما كان يخاصمك أبى انه لم يخاصمك فى شانها ولو مرة واحدة بل يخاصمك فى شانى كثيرا فتبقين دامعة العين صابرة ساكتة فعفوا ومغفرة ليس لك الا الدموع فانى لا استطيع ان اشاهدك تبكين بدون ان ارتمى على صدرك واقبلك وابكى معك ولا اكف عن البكاء حتى تخرجى منديلك وتمسحى به دموعك ودموعى • ان أبى لا يكلمها الا قليلا اسمعها تقول له : صباح الخير يا سيدى ••• ولا اسمع جوابه فى غالب الاحيان بل همهمة لا افهم منها شيئا • ولم تقولين لى كلما ألححت عليك باسئلتى عن عمتى اسكت انت صغير ما تعرفشى لكن اريد ان اعرف كل شيء انى صرت رجلا : سينبت شاربى كشارب أبى وسيصير صوتى كصوت أبى مزعجا ساصير طويلا عريضا قويا كأبى • الآن انى رجل • لقد انتقمت منها سابقا خفية ساقول لك كل الحقيقة يا أمى فمرة امرتنى بان آتى اليها بشربة ماء فبزقت لها فى الحلاب ومرة بلت على سفسارها وحين هبت للخروج كنت انظر الى البقعة الوسخة بسرور ومرة هى نائمة ادخلت لها حبة بطيخ فى اذنها ومرة اخرى وضعت لها قشرة من دماميلى فى صحنها ومرة شاهدت خنافس تتجول فى زنقتنا على ارجلها الرهيفة المرتعشة فاردت ان اضعها على ورقة وان آتى بها الى الدار لكن تذكرت انك تخافين ايضا من الخنافس فعدلت انى اريد ان اقول لك ايضا : لماذا لا يكلمها أبى انه وحيد أمه لا اخت له ولا اخ تبنتها جدتى وربتها وكبرتها فانقلبت أفعى • كانت تتعب

جدتي المسكينة • كانت تكرهها واشتد كرهها عندما صارت جدتي عجوزا لا تفارق الفراش • كانت تقسو عليها ولا تتركني اذهب اليها في الصباح وكانت تترك جدتي المسكينة تناديني او تناديها او تناديك وانت غائبة حتى تيأس فتقوم لحاجتها وتسير بخوف متشبثة بالحائط متحسسة متلمسة جازعة فكانت تنظر اليها من غرفتها ساخرة ضاحكة متمنية سقوطها على الرخام وموتها • وسمعت جدتي تقول مرة : « انحب شويه نفه حكتي فارغه من البارح » فذهبت واشتريت لها حكة نفة من نقودي فترقبتني عمتي في السقيفة واختطفتها مني • وسمعت جدتي مرة تصيح « اوه اوه اشنوه تخنقني تخنقني » فاسرعت الى غرفتها واذا بعمتي تنطلق منها وبيدها مقص كانت تريد ن تقص به حرز جدتي حرزها الذي لا يفارق صدرها لم افهم مراد عمتي حتى سمعتها مرة تتحدث مع الجيران زاعمة ان حرز جدتي فيه مال كثير آلاف من الفرنكات وعقد الدار • كلما تخرجين يا أمي تذهب عمتي بخطى بطيئة الى جدتي والمقص في يدها فتسمع جدتي الحركة فتسال ، « آشكون ؟ آشكون ؟ ادخل يا علي يا علي وتناديني فاتجه الى غرفتها فتعود عمتي خائبة والمقص في يدها • تيقني يا أمي اني لست طفلا كما تقولين لي كلما سالتك في امرها والحت عليك فيه واني صرت رجلا واني افطن الى كل شيء واني لا اسمح لعمتي هذه اية غلطة صغيرة او كبيرة في المستقبل ••• واني اريد ان اقول لك يا أمي اني كلما تمارضت واقبلت علي في فراشي او كلما نظرت الي اثناء السهرة وانا صامت أتململ في مكاني لاعبر عن التعب والمرض اريد ان اقول لك لا تجزعي يا أمي اني أتمارض لكي تتركيني في الدار لكي لا اذهب الى الكتاب • وعندما تناديني فوالله اني اريد ان انهض من فراشي وان اقبلك وان اقول لك لا تخافي ، اني اتناوم واطلب الماء عمدا لاقنعك باني مريض لكني في صحة طيبة فلا تجزعي فما همي الا ان ابقى في الفراش حتى تفوت الثامنة لاقوم الى اللعب والمرح••• لكني احس بالصداع في راسي واشعر بدوار عظيم ، بالعطش • اني مريض هذه الليلة اتقلب في فراشي منذ زمن • اني مريض حقا هذه الليلة ، يدي تصطدم بوجهي ، فاهتز أمي تضع امام خدي قطعة باردة منتفخة طرية • أتحسسها فاذا بها قطعة خبز • اضعها تحت الوسادة بسرعة ، وانا خائف من قدوم أبي • ابقى زمنا بدون تحرك • ثم ادخل يدي ببطء ، واقطع منها قطعة كبيرة ، واضعها في فمي • احس ألما في حلقي ألوك بحذر ، واعمل لساني كي ابعد الخبز عن حلقي احرك فمي بلطف ، اظل امضغ طويلا لكي تدوم القطعة في فمي ، أشعر انها صارت حلوة ، صارت لا شيء ••• آخذ قطعة ثانية ، اتتبع كل حركات فمي ، وتنقلات اطراف الخبز بين اضراسي ، وتحت لساني ، وداخل حنكي ، احس بألم كلما اصطدم فتات بحلقي اتفقد ما تبقى من الخبز • اخشى انتهاءه • اتناول قطعة اخرى ، وقطعة اخرى ••• اجد الخبز لذيذا جدا هذه الليلة • الآن أبحث عن الفتات بأناملي أتحسس ، اتلمس كل فتاتة على الفراش ، تحت الوسادة بين ثنايا غطائي كلما اعثر على فتاتة القي بها في فمي• سعال أبي يعلو اكف اخفت انفاسي • اغمض عيني • أبي يقترب • يقترب ،

يمر امام غرفتي ويبتعد يدخل غرفته لينام او ليترقب الصباح كي يجرني الى الكتاب جرا ليحدث المؤدب عن هروبي وهملتي في الشوارع وربما عن ضرب عمتي • وسيتذكر المؤدب كيف شتمته البارحة وهربت • ستدق رجلاي بمائة ضربة على الاقل ، وأبي واقف بجانب المؤدب ويقول له عند كل ضربة :

ـ « زيده ! زيده الكلب ! »

* * *

انتبهت على دقات ساعتنا الكبيرة وهي تعلن السادسة• اعترتني قشعريرة• أتذكر كل ما يترقبني • افتح عيني بتعب صداع راسي لم يفارقني كامل الليلة • فمي مر جاف احرك لساني • انه قطعة يابسة تتحرك في فمي • ادور على جنبي الايمن قبالة الحائط • اود ان انام ثانية عيناي تنغلقان رويدا رويدا أغيب ••• أغيب ••• الساعة تزعجني باعلانها السابعة • ستاتي أمي بعد دقائق • يجب ان افارق فراشي رغم صداع راسي ، رغم جوعي وعطشي من المستحيل ان اتكلف المرض هذا الصباح • حديث يدور بين والدي • صوت أبي الخشن يعلو • كلامه يطول • لم يهدأ بعد ••• دقات ساعتنا تنشط ، تزداد دويا • أبقى مغمض العينين بدون حراك • انى لا اريد ان اذهب الى الكتاب • انى لا استطيع ان اذهب الى الكتاب انى مريض حقا هذا الصباح ، مريض حقا ••• وقع قبقاب أمي يصل الى ، يعلو ، يقترب منى • دقات قلبي تزداد • تدخل أمي تقترب من الفراش :

ـ « هيا يا علي ما عادش بكري • بوك يستنى فيك »

أقف وارتدى ملابسي بدون كلام ، ادخل المطبخ بدون كلام • اجد أبي يتناول قهوته ، وهو يدخن يتبع خطاى بنظرة طويلة ، لقد عزمت على ان اقول له صباح الخير لكن اضطربت وانعقد لساني • قصدت الطرف الآخر من الطاولة • اتناول فطوري بدون رغبة • اجد صعوبة كلما حاولت البلع • آكل ببطء شديد بالجانب الايمن من فمي يقوم أبي • اسرع • ابتلع • انتهى • اقوم وقد تركت اكثر فطوري يقول لي :

ـ « هيا حضر روحك فيسع »

يبدو لي أبي كانه ليس أبي • والدار غريبة علي • واتت أمي والبستني ثيابي كالعادة • ومسكني أبي من يدى • فظهرت عمتي وقالت لي : « على صباح الخير ؟ »

اسير بجانب أبي بخطى متعثرة انى لا استطيع متابعة خطاه • انه يسير دائما بسرعة ، نقترب من الكتاب ، الثامنة لم تأت بعد سوف لا نجد الاطفال او نجد القليل منهم يترقبون امام الباب • او نجد المؤدب وحده ينتظر ويقبل الاطفال واحدا واحدا كلهم ينظرون الى كاني نزلت من السماء • ينظرون بعيون

حائرة ، خائفة · اننا نقترب اكثر فاكثر « صالح بومة يمر يلتفت الى » بحيرة « حمادي الاحول » يمر وطربوشه الاسود مائل فوق راسه كالعادة وهذا « الجربوع الاكحل » يقترب منا ثم ينظر الى باندهاش · المختار وأخوه عثمان يدخلان الكتاب · انهما لا يفترقان فى الذهاب الى الكتاب وفى الرجوع منه · ولا يفترقان فى ايام العطل والالعاب · اتقدم بشجاعة اشعر بقوة غريبة · رائحة الحصر الندية،سأسير عليها بشجاعة·واقف امام المؤدب بشجاعة،وبدون جواب ، سيحدثه أبى فيمد المؤدب يده الى عصا من عصيه · فتنزل على ساقى فأبقى بدون بكاء ، بدون دموع بل فى صمت وجلد ··· نمر امام باب الكتاب ، لكن لا ندخل ، ونبتعد عنه بقى الطاهر حمزة على عتبة الباب ينظر الى فى حيرة وأنا اواصل سيرى مع أبى ··· هل تأخر أبى عن عمله لكى يقودنى الى الكتاب ؟ انه يتابع خطاه بدون ان يلتفت الى ، ولا حتى الى باب الكتاب حين لمسناه هل نظر الى عند ذلك بطرف عينه ؟ لربما فحصنى بنظرة خاطفة · انى لم اعبر عن حيرتى · بقيت اسير بدون ان انظر اليه · نحن الآن فى شارع باب سويقة · اشاهد المكان الذى قبض على فيه أبى · اننا الآن نصعد نهج القعادين يميل بى أبى الى نهج ضيق ؛ يتجه الى منزل له باب ازرق ، فندخل بدون ان نطرق واذا بنا فى وسط دار رحبة ذات غرف متقابلة ونوافذ عديدة زرقاء · يقودنى أبى نحو رجل طويل مشرق الوجه · يستقبلنا ببشاشة وترحيب هو صديق أبى ، اذن · يبتسم لى ·· يتحدثان طويلا ، ثم يمسكنى الرجل من يدى بلطف ويربت على خدى واذا بأبى ينحنى على ، فاحمى وجهى ، فاذا به يقبلنى ثم يقول لى بالصوت الذى أحبه :

— « هذا معلمك اسمع كلامه ، هو يحب الاولاد الصغار »

ثم يودع المعلم ويقول لى :

— « عند الاول ما تخرج من المكتب حتى انجيك ونروحو للدار اجميع » ·

محمود بلعيد

باريس — 66/11/15 — 66/12/22

موافقـــات

شعـر : شارل بـودلير
تعريب : الصادق مازيغ

معبـد هـذه الطبيعـة فخــم خفقت فيـه بالحيـاة السـوارى
ناطقـات فى صمتهـن وقد يفــصحن همسا عن غامض الأسرار
يخطر المـرء عبـرها فى رمـوز شاخصـات كسـامق الأشجـار
وهى ترنو اليه فى لحظهـا السـاجى وتغـريه خلسـة بالحـوار

وكـان الـوجـود مـوكب أصـداء تعانق فى سحيق الديـار
فى انسجام ووحدة غمضت معــنى وغاضت فى مهدها المتوارى
وتنـاءت أطـرافهـا كالديـاجى حين تغشى وكانبثـاق النهـار
يتنـاجى فى ربعهـا أرج الزهــر ووشى الربى وشدو الهـزار

فمن العطـر ما هفا منعشـا كالـطل فى برده ولثـم الصغـار
وشدا فى عـذوبة النـاى لحنـا شبـه روض منمـق باخضـرار
وهجيـن العطــور أبطـره المـزج فأمسى يجر ذيـل افتخـار

متنـاه فى عنفــوان ودفــق جـامـح فى تمـرد وانتصـار
كالغـوالى ونافـج المسك والعنـبـر والعـود فى تأجـج نـار
فهى تشدو بكل لحـن وتـذكى فى حشا الصب لافحات الأوار

ص٠ م٠

(*) موافقات (Correspondances) قطعة من المجموعة الشعرية « زهور الشر » (Les fleurs du mal) التى كتبها الشاعر الفرنسى شـارل بـودلير المتوفى سنة 1867 م٠

الزهور الشمعية ..!

بقلم : محمد مصمولي

قبيل زحزحة الباب المهترىء المتثائب واجتياز عتبة « تركة الموميائيين » من اللائق أن نقدم « للسائرين ـ الناعسين » على الدرب باقة من « الزهور » الشمعية المصطنعة ترضى سرعتهم ـ البطيئة فى رحلة « الفن » التى طولها ألف خفقة جناح وجناح ...

* * *

فى مؤملى منذ آونة بعيدة كتابة الأحلام الآتية :

(الواقع ـ المستقبل) و (الانسان ـ الأفق) .. الصمت . التشريد . النسف . الجوع . الكذب الجماعى . رسم الأصداء . المجهول . تعقيل الهوس . كتابة الضحك بأنواعه ... الضحك من الزمن . من الواقع . منى أنا .. الخ ... الخ ...

* * *

قل عن نقدهم إنه كما قال آخر : ضجة قرن الثور فى متحف الزجاج ، أما ترجمتى لكلامك هذا بخصوص نقدهم فهو : لهاث بدأ يتبخر كالحبر الذى تتبرأ منه ضمائر الصفحات البيضاء .. أما ألقابهم عندى فكثيرة : قائلو اللاشىء ـ جلادو الفكر ـ وكذلك لغوهم له عدة عناوين : « نوستالجيا الفضوليين المتطفلين على مائدة الثقافة » . « غوغاءة » الراقصين حول (قمقم) صدىء حبسوا فيه « روح » الفن . ومعنى هذا « القمقم » فى قاموسى الخاص هو « مقاييسهم » التى صنعوها فكبلتهم ...!

* * *

المجد (للكلمة) المتوجة بشهامة « الرفض » لأن الرفض عندى هو « الاكسير » السحرى الذى تستحيل به شيخوخة الكون الى شباب مئناف .

المجد (للكلمة) التى يمتزج فيها الحبر بدماء المعذبين ، والكادحين فى مناكب الأرض ، و « بكيمياء » الفن الذى مقياسه تجديد هندسة العالم ، وتبديل خارطة النواميس ...

* * *

ـ من الرثاء ما يصبح فذلكة ...!

مثل رثاء صديق لنا ، لا يهم « الوفاء للحقيقة » أن نكشف عن أوراقه ٠٠٠ وهو من فصيلة هواة الطرائف الميتة ، ومتأبطى دفاتر الغابرين ، ومن الذين تدغدغهم القوافى ، ولا يترك لهم شيطان الشعر فضلة من لحم يلوكونها ، الا على عتبة المقابر ، أو فى موكب الجنازة الرهيب ٠٠٠

ذلك أن قريحة صديقنا لا تجود بالشعر ، الا متى هبت عليها نسمات الموت ، فاذا بقوافيه ترن مثل جرس يدقه عزرائيل ٠٠٠

ـ ومن الفذلكة ما تصبح رثاء ٠٠!

مثل (فذلكة) ماتت فيها روح النكتة لأنها جاءت من «متأبط لدفاتر الموتى»٠

أما كيف جاءت ، أو جيء بها ، فهى عندما أراد هذا « المتأبط لدفاتر الموتى » والحافظ الأصم لأقوال شيوخه الرجعيين أن ينكر اسمه ، ووظيفته ، ويصبح « متأبطا لدفاتر الأحياء » ٠٠٠

ـ وبالرغم من فشله فى الفذلكة وفى الرثاء معا ، فقد وضعنا فى يده (زهرة شمعية) لما اضحكنا باطلالته من احدى زوايا الورق ، بجسد ملآن بالقش ، وبقناع لا وجه وراءه ، وبابتهامات صباحية شبيهة بكذبة « نيسان » سرعان ما نسيناها ٠٠٠

* * *

لئن كان الحكم الجزئى عليك أو علينا لدى تسكعنا فى البحث عن الأفق ، لا يتجاوز « النسبية التاريخية » ولا يحيد عن « الشبهة » والتخمين ، فلا أظننا الى شيء أفقر من فقرنا الى « **النقد الذاتى** » بشأن يقظتنا الفكرية والأدبية الراهنة على صعيدها ككل وفى خطوطها البيانية العامة ، وميزاتها الفارقة ، متخطين بهذه الرؤيا ، الشبيهة بالشاملة ، بعض فقاقيع التعبيرات النقدية الموتورة والمشحونة أحيانا بالحقد والبغضاء ، والتى سالت بها بعض الأقلام العصبية ، المسمرة بالسفح على هامش وثبة بقية تحركاتنا السياسية والفكرية ٠٠٠

والأكيد على الأقل بالنسبة للمتفتحين أن وضعنا الثقافى الراهن بكافة البلاد العربية ، فى حاجة الى شيء آخر غير تكهنات « المنظار » الديماغوجى أو الدوغماتيكى أو الى الأقلام التى تكتب بغير مدادها ، وتفكر بمعدة أصحابها ومزاجهم القزحى الحالات ٠٠٠

ـ حذار يا هؤلاء فالتاريخ يسجل !

وقد حان « الأوان » الذى تحظى فيه « يقظة » الفكر الراهنة « **بالنقد الذاتى** » الذى يمارس على الصعيد العام وبمنتهى الصراحة ، والناتج عن رفعة النظرة

والفعل فى درجة واحدة من الايمان ، وتحت اثارة حبيبة من القيم المشعة على شتى الابتكارات والمنشآت والاستنباطات ٠٠٠

* * *

التجربة احصاء ونوعا ، تشكو قلة القارىء العربى النزيه ، الطموح الى تقييم الحركة الفكرية فى بلاده ، المدرك للثقافة باعتبارها هذا « التجرد والاحرام ، والخضوع والسعى الحثيث : تخلع فيه أوهام وأهواء ، ويحتقر الخوف ، وتحطم القيود » كما يقول الأديب التونسى الاستاذ محمود المسعدى ٠ وقليلة جدا هى نسبة « القارى العربى » ، الذى يكون « جوهر الثقافة » لديه وفاقا لما يعنيه (المسعدى) بقوله : « كفاح مستمر يرمى الى التحرر والاستيلاء : التحرر من أوهام المحسوس وسحر المظاهر لادراك الحقائق والاستيلاء على القوات الخفية والاحتقار للعرض الزائل بغية الاحتفاظ بالجوهر الثابت والتسخير للنزعات الجامحة لخدمة ارادة لا ترضى بالمنزلة الدنيا الا على أنها درجة فى رقيها الى المنزلة العليا ٠ فهى ـ أى الثقافة ـ كما ترى توثب دائم وتقدم لا يرضى أن تقف به فى سيره العراقيل أو أن ترده المادة الغاشمة الى الوراء أو أن تحجب عنه القوة العمياء غاياته » ٠٠٠

والذى أقصد بالقارىء هو كل من يتلقى ثقافة مدونة ، أو مذاعة ، أو متلفزة ، ولا أستثنى من القراء حتى الذين ينتجون هذه الثقافة ٠ اذن فـ « القراء » هم : أنت ، وأنا ، وهى ، ونحن ، فى آن واحد ٠٠٠

وإن كنت أنت ذاك القارىء « النادر » المنتسب الى هذا الاطار الشامل الذى لا حدود له ، فلا شك أنك ملتزم الصدق فى مواجهة واقعنا الانسانى ، ولعل صدقك يوقفك إزاء « الحركة الفكرية والأدبية الجديدة » وقفة التفاؤل بأقباس الوعى الراهن ، لا تفاؤل (عير الرضا) التى لا حاجة لنا بها ، بل تفاؤل التقييم المخلص الذى غايته تجديد هندسة المرحلة « الراهنة » وتلوينها بانعكاسات تعاطفنا الوجودى الحار ٠٠٠ ومتى تهيأت أنت ، تم « التفاعل » الثقافى المنشود بين « فاعل » اسمه « المنتج » و « منفعل » هو أنت ٠٠٠ ومن « هذا التفاعل » الذى أدعوه بـ « التحاضن الفكرى » بين المثقفين ، يتولد « **الانسان ـ الأفق** » أى هذا الوجود المشرق المبدع لذاته ، والمكتسب مدلوله الانسانى وتبريره الحضارى من الثقافة ٠٠٠

واذذاك ، بفضل تقييمك النقدى المضىء لما يجد فى محيطك ، وبفضل صفاوة تحاورك مع الكون ، يصبح من السهل « **تعقيل** » الوضع الفكرى لازالة قشوره ، والقضاء على زيفه ٠٠٠ ولفضح « الأقنعة التى أضاعت وجوهها » والتى تحصنت بالورق ، وبالجرائد والكتب ، لمهاجمة القائم والقاعد ، والغادى والرائح ، والحى والميت ، مستخدمة أحيانا ، فى بعض البلدان العربية الأخرى ، سلاح الارهاب اللفظى ، ابتداء من القذف بالشتائم الى استعداء المسؤولين على الصعيد الادارى لغاية طرد « الأديب » من أماكن رزقه أو لغاية طرده من وطنه الحبيب باستعداء السلطة ضده ٠٠٠

ـ لا رسم عندكم ، بل زحمة فولكلور ٠٠٠

هكذ قال « آخرون » مشيرين بأصابع من نار الى أعلام لنا فى الرسم متربعين عن جدارة فوق اللون والخط ، والظل والازمة والنقطة ٠ أعلام لنا آمنوا من زمان، بأنهم قد أنزلوا لنا مفاتيح الروعة من الغيب، وتمخطوا فولدوا «رسوما» هى مثال الكمال ، ومنتهى المنتهى ، وبأن هذا الذى ولدوا ، هو زاد الرحيل لقوافل الأجيال ، وهو فى رأيهم زاد لا يجاع بعده ٠٠٠

ـ لا رسم عندكم ، بل زحمة فولكلور ٠٠٠

تلك هى الحقيقة القابعة فوق لوحات المنهمكين فى رسم « الصوامع الحزينة » والعكاكيز،والقباقب والقباب والأقبية،وما شاء لهم «خيالهم المبدع» من ماشية، وقوافل ، وجمال (بكسر الجيم) ٠٠٠ وبقية الزخارف التى من أجلها « قشطت » عضلات رسامينا ، كاسية بدمها ، وبفوارة أشواقها ، هذه اللوحات السياحية ٠

ـ لا رسم عندكم ، بل زحمة فولكلور ٠٠٠

وظننت مع الظانين أن رسامينا « الرسميين » (لا الشباب) ٠ رسامينا الذين احتكروا تاج الفن وصولجانه ، وانتصبوا على عرش الخط واللون ، والنقطة ، والازمة ، انبياء بلا معجزات ، وملوك بلا رعية ، ظننت أنهم سيحركون ساكنا، أو سينبسون باحتجاج أو نقد أو تفنيد، أو أنهم سيتأبطون الريشة لانتشاء الروائع التى تريع ، ولكن رحم الله الجاحظ ، وقاضى البصرة ، وهل يضر المسامير أن تنهال عليها المطرقة ٠٠٠

ـ لا رسم عندكم ، بل زحمة فولكلور ٠٠٠

ومع الظانين ظننت أن « الرسميين » من رسامينا (لا الشباب) ٠ رسامينا الذين يشار اليهم لا بالبنان فقط ، بل بكافة أصابع اليد ، ممن تاهوا فى أودية الفن حتى طالت اللحية ، وقصر النظر ، وزحفت عليهم البورجوازية٠٠٠ظننت اذن ، أنهم سيبرقون ويرعدون ويزبدون ، ولكن هيهات ، فهم قد تسربلوا بالضباب ، وأنى للأوثان العظيمة أن تقفقفها رياح العاصفة ٠٠٠

ـ لا رسم عندكم ، بل زحمة فولكلور ٠٠٠

ظننت مع الظانين ، أن « مصدرى التوقيعات » ، وأصحاب الأنفة الرسمية ، سينفعلون ، لكن ظننت ، وبعض الظن اثم ٠٠٠

محمد مصمولى

بدء على العود ...

شعر : الهادي نعمان

بَدْءٌ عَلَى العَوْدِ يَاسِيزِيفُ دُنْيَانَا
كَمَا عَهِدْتَ وَأَشْبَاهٌ قَضَايَانَا ....
مَازَالَتِ الصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ نَرْفَعُهَا
جُهْدًا جَهِيدًا وَإِيمَانًا وَكُفْرَانَا
وَنَحْنُ فِي أَمْرِ هَا صَرْعَى نُزَحْزِحُهَا
دَوْمًا نُعَانِي وَمَا تَكْفِي ضَحَايَانَا ...
مَازَالَ مِنَّا جِهَادٌ أَنْتَ تَعْرِفُهُ
مُرٌّ طَوِيلٌ فَمَا أَقْسَى بَلَايَانَا !
وَمَا أَشَدَّ عَذَابًا فِي تَجَرُّعِنَا
للصَّبْرِ . وَالْيَأْسُ مَا يَنْفَكُّ يَلْقَانَا ؟
وَنَحْنُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ تَجْرِبَةٌ
ضَاقَتْ وَمَا وَسِعَتْ يَوْمًا خَطَايَانَا
وَنَحْنُ فِيهَا عَلَى يَأْسٍ نُحَاوِلُهَا
كَيْمَا نَفُوزَ وَمَا أَجْدَتْ عَطَايَانَا
وَنَحْنُ فِيهَا عَلَى مُرِّ الحَيَاةِ هَوًى
مُذَبْذَبُ السَّيْرِ أَشْكَالًا وَأَلْوَانَا
وَنَحْنُ فِي حَالَةٍ ضَجَّتْ بِنَا فَزَعًا
عَلَى الامَانِي تَضِيعُ الدَّهْرَ خُسْرَانَا

* * *

سِيزِيفُ يَا رَائِدَ الاوْهَامِ لَوْ بُعِثَتْ
فِيكَ الحَيَاةُ لَالْفَيْتَ الذِي كَانَا ...
فَنَحْنُ فِي جَبَلِ الايَّامِ نَقْطَعُهُ
أَقْدَامُنَا فِي دَمٍ وَالشَّوْكُ يَرْعَانَا

وَلِلأكُفِّ نَزِيفٌ فِي شَـرَايِينِهَـا
مِنْ صَدْمَةِ الصَّخْرِ حَيْثُ الوَهْمُ وَافَانَا
وَبَاتَ مِنَّا عَلَى طَبْعٍ يُصَاحِبُنَـا
كَيْفَ الخَلاصُ وَهَلْ نَسْتَطِيعُ نِسْيَانَا ؟
وَالشَّرُّ أَغْلَبُ وَالعَادَاتُ قَاهِـرَةٌ
قَدْ عَوَّدَتْنَا أَضَالِيلا وَبُهْتَانَـا
وَنَحْنُ فِي مَهْمَهِ الاوْهَامِ نَلْبَسُهَا
لِبَاسَ صِدْقٍ وَيُخْفِي السِّتْرُ بُطْلانَا
وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى وُعْرِ الشِّعَابِ مُنًى
يَا لِلصَّبَاحِ وَمَا فَازَتْ مَسَايَانَا ...
فِي كُلِّ يَوْمٍ نَرَى فِي الفَجْرِ بَارِقَةً
مِنَ الإمَانِي ... فَنَشْدُو ... يَا لِبُشْرَانَا ...
حَتَّى اذَا مَا المَسَاءُ المُرُّ أَدْرَكَنَـا
كُنَّا مَعَ الوَهْمِ إصْبَاحاً وَخِزْيَانَـا
وَكَانَتِ اليَقْظَـةُ الكُبْرَى عَلَى مَضَضٍ
يَا لَيْتَنَا لَمْ نُفِقْ فِي لَيْلِ دُنْيَانَـا
هُنَا السُّهَادُ الذي يُشْقِي مَضَاجِعَنَا
هُنَا الاسَى مُفْزِعاً يَنْشَقُّ بُرْكَانَـا

* * *

ضَحِيَّةَ الجُهْدِ يَا سِيزِيفُ تَسْلِيَةً
مِنِّي اليْكَ تَزِيدُ الجُهْدَ إيمَانَـا
سِيزِيفُ مَا وَحْدَكَ الايَّامُ قَدْ صَرَعَتْ
فِيكَ الحَيَاةَ وَأَشْقَتْ مِنْكَ يَقْظَانَـا
وَلَسْتَ وَحْدَكَ مَنْ ضَاعَتْ مَطَامِحُـهُ
سَبَهْلَلا حَيْثُ عِشْتَ الوَهْمَ وِجْدَانَـا
فَكُلُّنَا كُلُّنَا سِيزِيفُ تَجْرِبَـةً
تُدْمِي القُلُوبَ وَتُغْنِي الفِكْرَ انْسَانَـا.

هـ. ن.

من نفائس المخطوطات

بقلم : محمد محفوظ

ان مكتبة متحف دار الجلولى بصفاقس تحتوى على مجموعة صالحة من المخطوطات النفيسة ، الت اليها من مكتبة الشيخ على النورى ، والشيخ ابى الحسن الكراى .

ومن جملة هذه النفائس كتب نسخت فى العصر الحفصى او ألفت فيه . ونبتدىء بالتعريف بها .

أ) قطعة من الموطأ للامام مالك بن انس ، رواية يحيى بن يحيى الليثى الاندلسى ، نسخها محمد بن عمر بن عبد الله اليمنى الخراز ، فى عصر السلطان ابى زكرياء الاول يحى بن عبد الواحد بن ابى حفص .

وقابلها مع الناسخ شيخ السلطان ابى زكرياء محمد بن عبد الجبار الرعينى السوسى (ت. 1263/662) ، على ما يستفاد من آخر النسخة ، وهذا نص ما فيه : «اخر كتاب الموطأ والحمدلله وصلى الله على محمد واله وسلم تسليما .

كتب لخزانة المولى الامير الاجل المعظم المبارك الاسعد المؤيد المظفر المنصور الاطهر الازكى الرضا المرتضى ابى زكرياء يحى بن مولانا الشيخ المعظم المقدس المرحوم ابى محمد بن الشيخ المعظم الاطهر المقدس المرحوم ابى حفص ايد الله مقامهم ونصر اعلامهم عبدهم المتقلب فى نعمهم الداعى الله سبحنه (1) ان يديم ايامهم محمد بن عمر بن عبد الله اليمنى الخراز ، ثم قابله العبد جهده وحضر لمقابلته ... (كلمة مخرومة) الشاكر لاياديهم (محمد بن عبد الجبار بن محمد الرعينى) (2) بتاريخ العشر الوسط لشهر ربيع الاخر من ... (خرم يسير) اربعين وستمائة والحمد لله حق حمده وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

والنسخة بخط قريب من الخط المشرقى النسخى الا ان الناسخ جرى فى نقط الفاء والقاف على قاعدة الخط المغربى لا المشرقى ، وفى نقط الظاء جرى على قاعدة الخط المشرقى .

وبهوامش الاوراق تعليقات يسيرة لتفسير بعض الالفاظ اللغوية ، او بيان

(1) كذا بالاصل .

(2) ما بين الحاصرتين بخط محمد بن عبد الجبار الرعينى نفسه .

الاستنباطات الفقهية من احاديث الموطأ ، اوراقها مترهلة ومخرومة من اعلاها وبها نقص كثير ، عددها 205 ورقات قياسها : 30،5 × 25 ، مسطرتها : 23 سطرا ، رقمها 160 (المكتبة النورية) ٠

ب) كتاب عمدة المرغب الاريب وعدة المرهب اللبيب (العنوان وبيان عدد الجزء ملحقان باخر كل جزء بخط مغاير لاضل الكتاب) تاليف على بن محمد الحسينى (كان حيا 863/1460) ٠

وقد عرفت اسم المؤلف فى مبتدأ الامر من فهرس صغير للمكتبة النورية بخط صاحبها الشيخ على النورى ، رحمه الله ٠ وبذلت الجهد فى البحث عن ترجمة المؤلف فلم اظفر بطائل ، لكن المصادفة تحقق احيانا من الرغبات بصورة مفاجئة ، ما لم يصل اليه الانسان بالجهد والعناء ٠ فبينما كنت يوما مارا امام دكان صغير لبيع الملابس ، لاحد معارفنا ، على مقربة من الجامع الكبير ، جذب انتباهى تغير هيئة المحل بعرض الكتب بدلا من الملابس ، ولفت نظرى بالخصوص بعض الكتب المخطوطة ، عرفتها من ظاهر اسفارها المجلدة على الطريقة القديمة٠وبعد التحية وتكرم صاحب المحل على بالجلوس،واستفهامى عن سبب هذا التبدل ، بادرته بالسؤال عن كتب مواجهة لى ، هل هى مخطوطة ؟ فاجابنى بالايجاب ، وان منها كتابا فى تلقين الميت ٠ فقلت له هل تسمح لى بالاطلاع عليه ، فناولنى اياه مشكورا ٠ وبمجرد ما تصفحته عرفت انه جزء من كتاب « عمدة المرغب الاريب وعدة المرهب اللبيب » ، ووجدت فى اخره اسم المؤلف وتاريخ التأليف ، فسررت وقلت فى نفسى : قد ظفرت بضالتى ، واستأذنت صاحبنا فى اخذ مذكرة عن هذه الفقرة المفيدة جدا ٠ وبعد الفراغ من تدوينها قلت له : انه يوجد بمكتبة متحف دار الجلولى ثلاثة اجزاء من هذا الكتاب ، الذى اصله من مكتبة الشيخ على النورى ٠ وفى اول هذا الجزء نفسه خطه فى اثبات تملكه له ، على عادة الشيخ فيما يقتنيه من الكتب ٠ ومن المستحسن ـ فى رأيى ـ ان يلحق هذا الجزء بمكتبة متحف دار الجلولى ، لتبقى اجزاء الكتاب فى مكان واحد ، ولتتيسر الاستفادة لعموم الناس ٠ فاجابنى بان الكتاب لاحد اقاربه من رجال التعليم الذى اشترى بستانا من آل النورى وجد فيه هذا الكتاب وغيره من المخطوطات ٠ وتبين بعد البحث ان احد المستحقين البائعين للبستان من اصدقائنا منذ عهد الدراسة ، وتفضل بمساعدتى على الاتصال بالمشترى ، وهو رجل من افاضل المعلمين ، وكان عند حسن الظن ، فأوصى قريبه صاحبنا التاجر ليسلم لى المخطوطات والاوراق التى وجدت فيها قطعة من كتاب « الجواهر البهية فى شرح الاربعين النووية » لابى الفضل محمد ولى الدين المصرى ، ضممتها الى باقى الكتاب الموجود من قبل بالمكتبة ٠

وفى هذا الجزء الذى تسلمته ، وهو الجزء التاسع والاخير من « عمدة المرغب الاريب وعدة المرهب اللبيب » ، وجدت فى أواخره ما نصه : « قال مؤلفه

العبد الفقير المقر بالعجز والتقصير على بن محمد الحسينى المحمدى الغزالى القادرى الشاذلى الموحدى هذا ما انتهى اليه من هذا الشان علمى واتى على ترتيبه وتبويبه فهمى ٠٠٠ »

وفى بداية وجه الورقة الاخيرة : « وكان ابتدائى ذلك ٠٠٠ (خرم) وتصنيفه بالحضرة العلية تونس المحرو[سة] ادام الله انارة ربوعها المانوسة عن الامر العلى الامامى الاعظمى العثمانى العمرى المتوكلى اعلاه الله تعالى وذلك فى سنة ثلاث وستين وثمان مائة للهجرة النبوية » ٠

ونستفيد من هذا ان المؤلف الف كتابه بامر من السلطان المتوكل على الله ابى عمرو عثمان بن المنصور بن ابى فارس عبد العزيز الحفصى « خاتمة الفضلاء من هذا البيت ، واطولهم مدة » (1) ٠

والمؤلف شريف حسينى ، والغالب انه من الوافدين من المشرق ، لان صيغ الالقاب التى اطلقها على السلطان ابى عمرو عثمان الحفصى (الامامى ، الاعظمى العثمانى العمرى ، المتوكلى) ، والمختومة بياء النسب ، هى صيغ معروفة فى المشرق وغير معروفة فى اقطار المغرب (2) ٠

ولان السلطان ابى فارس عبد العزيز بن احمد الحفصى كثر فى عهده توافد الاشراف من المشرق والمغرب ، لاكرام السلطان لهم ، واغداق الاموال الكثيرة عليهم ، واستمر حفيده ابو عمرو عثمان مقلدا لجده فى اكرام الاشراف ، وحتى المنتحلين للشرف ، كجليل العراقى ابن غاسل الاموات ببغداد ، الذى اثرى بتونس بعد فاقة وبؤس ، مما دعا الجلف الجافى الاحمق الملقب بالقطب العراقى الى حسده ، والانتقال الى تونس فى جموع كثيفة ، لمزاحمة جليل ، وفضح

---

(1) احمد بن ابى الضياف : اتحاف اهل الزمان 136/1 ٠

(2) الالقاب الملحق بها ياء النسب تارة يراد بالنسب فيها النسب الحقيقى على بابه ٠٠٠ وتارة يراد بها المبالغة (راجع صبح الاعشى للقلقشندى 503/5–504) ٠وبالجملة فقد اصطلحوا على ان يكون ماالحقت به ياء النسب ارفع رتبة مما تجزد عنها سواء كانمنسوبا الىنفس صاحب اللقب او غيره، فيجعلون الاميرى أعلى رتبة من الامير ، والقضائى ارفع رتبة من القاضى ، ثم يجعلون المنسوب الى نفس صاحب اللقب ارفع رتبة من للمنسوب الى شىء خارج عنه ٠٠٠ (المصدر السالف 100/6) ٠

امره ، واسقاط مكانته ، مع الامل العريض فى الثـراء ، وتبييت النيـة على احداث فتنة ، طمعا فى تولى خطة هامة (1) ٠

ومن المرجح كون المؤلف مشرقيا ان الكتاب بخط مشرقى نسخـى جميل (الراجح انه خط المؤلف) ٠ ومن المعلوم ان الجيل الذى ادرك الدولة الحفصية كان يكتب بالخط المشرقى ، وبانقراضه انقرض معه الخط المشرقى ، وانتشر مكانه الخط المغربى ، وهذا ما تثبته الوثائق العديدة (2) ٠

والمؤلف من رجال الطرق الصوفية ، على ما نعت به نفسه ، فهـو غـزالى ، قادرى ، شاذلى ٠ اما نسبة الموحدى ، فهى ــ فيما يبدو ــ للتقـرب من الدولة الحفصية التى هى فرع من الدولة الموحدية ٠

واسلوب المؤلف فى كتابه « عمدة المرغب الاريب وعدة المرهب اللبيب » هو انه يسوق الاحاديث الخاصة بكل باب من ابواب الترغيب والترهيب ، ويذكر عقب كل حديث من خرجه ، ويفسر احيانا الالفاظ اللغوية ، واحيانا يتكلـم على الحديث وراويه ان كان متهما او ضعيفا،من الناحية الصناعية الحديثية،ويبين ما فيه من علل خفية ، مما يدل على تمكن ومهارة فى علوم الحديث ٠ وقد اعتمد فى نقله على كتب الحديث المشهورة ، وفى الجزء التاسع والاخير نقل من كتب غريبة نادرة،منها : كتاب الياقوتة،وكتاب الرقائق ، كلاهما للمحدث محمد بن فضالة الساوى ، وكتاب اهوال يوم القيامة ، وكتاب التخويف من اهوال دار البوار والتعريف باهوال دار القرار ، وهما من تاليف عبد الجليل النيسابورى وكتاب الرقائق لعبد الله بن شافع الجزرى ، وكتـاب الرقائـق ، وطبقـات المحدثين ،كلاهما للحافظ محمد بن زين العبدرى ، والمعجم للحافظ محمد بن عبد الغافر النشاورى ، وكمال الامال للحافظ عبد الصمد (لم يزد فى التعريف به عن ذلك ، مع تكرر النقل عنه) ٠

ونقل فى الجزء الخامس كتاب شفاء الصدور لمحمد بن مقسم ، وفى جميـع اجزاء الكتاب نقل عن تفسير ومسند المحمدى (لم يذكر اسمه مع كثرة نقله عنه) ، وتفسير المحمدى هذا من نوع التفسير بالمأثور ٠

---

(1) انظر قصتهما فى « الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم » لعبد الباسط بن خليل الملطى (القطعة الخاصة بشمال افريقيا) تحقيق وترجمة الاستاذ روبير برنشفيق Robert Brunschevig ، بعنوان :
Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord aux XVe siècle, Abdelbâsit el Adorne, Paris, 1936
النص العربى ص 23 ــ 31 ، والترجمة الفرنسية ، 77 ــ 89 ، وبالخصوص ص 77 ــ 78 تعليق (1) ٠

(2) انظر الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامى لمحمد النيال ، ص 138 ٠

والاجزاء الموجودة من كتاب « عمدة المرغب الاريب وعدة المرهب اللبيب » هي : الجزء الخامس ، 26،3 × 18،2: 126 ورقة ، رقم 115 ٠

الجزء السابع ، 26،8 × 18، 123 ورقة ، رقم 116 ٠ به نقص من اواخره ومن وسطه ٠

الجزء الثامن ، 268 × 18، 121 ورقة رقم 117 ٠

الجزء الثامن ، 26،8 × 18 ، 121 ورقة رقم 117 ٠

ومسطرة جميع الاجزاء الاربعة 15 سطرا ٠ واوراقها بها اثر رطوبة ، والكثير منها مترهل مطموس الكتابة في اماكن متفرقة من كل جزء والاجزاء كلها بخط واحد مشرقي نسخي جميل ، الراجح انه خط المؤلف نفسه ، اذ نص المؤلف في اخر الجزء التاسع ـ كما تقدم ـ على انتهائه منه وتاريخ ابتدائه ، ولو نسخه شخص آخر لذ عقب ذلك اسمه ، ومكان النسخ ، وتاريخ الفراغ منه كما هو المعتاد غالبا لدى النساخ المحترفين ٠

ج) كتابان في مجلد واحد ، يجمع بينهما وحدة الموضوع والشرح لكتاب واحد ، كلاهما في شرح الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد ، (1) لامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجويني النيسابوري ، الشافعي الاشعري (ت٠ 478/1085) ٠

اولهما لابي العز المقترح المظفر بن عبد الله بن علي المصري الشافعي (ت٠ 612/1215) (2) ٠

وهو ناقص نحو الورقة من اوله ، مسطرته 30 سطرا ، به 105 ورقات ، وخطه تونسي ، نسخه محمد بن ميمون بن تميم الربعي الواصلي ، وفرغ منه ضحى يوم السبت الخامس من ذي الحجة عام ثلاثين (وثمانمائة) ٠ والناسخ من رجال العلم والتدريس والقضاء في العصر الحفصي ، توفي سنة 872 او 873 ٠ ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (3) فقال : « محمد بن ميمون الواصلي ، نسبة لقرية بتونس ، التونسي ، المغربي ، المالكي ، ويعرف بالواصلي ، ممن اخذ عن عمر القلجاني ٠ وكان عالما بالفقه ، والاصلين ، والعربية ٠ مات بالطاعون سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ٠ افاده لي بعض ثقات اصحابه ٠

(1) طبع كتاب الارشاد لامام الحرمين بمطبعة السعادة بمصر ، 1950 ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد ٠

(2) ترجمته في الاعلام 164/8 ، ومعجم المؤلفين 299/12 ٠

(3) 65/10 ـ 66 ٠

وأعاد ترجمته فى نفس الجزء (1) ، فقال « محمد الواصلى نسبة لبلد بالجزيرة القبلية ظاهر تونس ، التونسى المغربى ، احد المتفننين المترقين فى الحفظ ، ممن درس وافشى ، وجلس للشهادة بتونس ، بل كان قاضيا ببعض محالها • مات سنة اثنتين وسبعين • وكان عالما صالحا ، قاله لى بعض ثقات المغاربة » • وترجم له احمد بابا التنبكتى (2) •

وهو من المعاصرين لابراهيم الأخضرى ، ومحمد الرصاع ، واحمد النخلى ، ومحمد الزلديوى ، ومحمد القلشانى قاضى الجماعة ، واحمد حلولو • ومن تلامذته : 1) احمد بن محمد بن على بن احمد الليانى البسكرى ، المعروف بابن فاكهة • وله تقريبا سنة ست واربعين وثمانمائة بليانة (بكسر اللام ، وتحتانية ، وبعد الالف نون) قرية ببسكرة (3) •

2) ومحمد بن على بن احمد الاواتى التونسى ، المولود بتونس سنة 849 ، اخذ عنه الفقه (4) •

3) ومحمد بن محمد بن محمد النقاوسى (بضم اوله ، وفتح القاف) (5) • القسنطينى ، المولود سنة 848 بنقاوس غربى قسنطينة • اخذ عنه الفقه والمنطق ، والعربية ، والمعانى (6) •

4) وعباس بن احمد بن عباس ، الزين القرشى المغربى ، ومن مزورة عرب وطنوا فاس ، والمتوفى سنة 887 • اخذ عنه شرح المعالم الدينية لابن التلمسانى وشرح جمل الخونجى (7) •

5) ومحمد بن ابى القاسم بن محمد الجذامى البرنتيشى (بفتح الموحدة والراء وبعدها نون ساكنة ، ثم مثناة مكسورة ، ثم تحتانية ، بعدها معجمة ، نسبة لحصن من غرب الاندلس من اعمال اشبونة) المولود فى اوائل سنة 859 بتونس ونشأ يتيما • اخذ عن جماعة من علماء تونس ، منهم محمد الواصلى • ورحل

---

(1) ص 126 •
(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص 315 ، ونبهنى الى ترجمته فى هذا المصدر شيخنا وصديقنا الاستاذ سيدى محمد الشاذلى النيفر ، جزاه الله خيرا •
(3) الضوء اللامع 145/2 •
(4) المصدر السالف 166/8 •
(5) المصدر السالف (قسم الالقاب) 231/11 •
(6) المصدر السالف 87/10 •
(7) المصدر السالف 18/4 ـ 19 •

الى القاهرة فى جمادى الاخرة سنة 883 ليحوز ميراث ابن عم والده ابراهيم بن عبد الملك البرنتيشى ، ولازم السخاوى مدة ، ومات فى 13 شعبان 893 (1) .

وقد اطلت فى ترجمة الناسخ لانها غير معروفة ، ولانه ليست له شهرة الآن كشهرة بقية معاصريه من اعلام .

ويلى كتاب شرح الارشاد لابى العز المقترح ـ الذى سبق التعريف به ـ كتاب الاسعاد فى شرح الارشاد . هكذا ذكر فى اوائل الكتاب ، وفى آخره : « كمل الاسعاد فى تحريد مقاصد الارشاد على يد عبد الله الراجى رحمته محمد بن ميمون الواصلى لطف الله به وبوالديه كتبه لنفسه ثم لمن شاء بعده جعله الله من اهل العلم والعمل بيمنه وكرمه . وكان الفراغ منه يوم الاحد فى العشر الاواسط من شهر شوال عام اربعين وثمانمائة والحمد لله رب العالمين » .

امام هذه الفقرات بالطرة اليمنى بخط تونسى : « مشتريه ومالكه بالشراء الصحيح من متروك مصطفى خوجه ، كاتب الحروف محمد بن محمد جلبى فى اواخر ربيع الاول من سنة 1073 » .

وبالطرة اليسرى بخط مشرقى فارسى : « مشتريه ومالكه بالشراء الصحيح من ورثه الشيخ القدوة سيدى ابى الطيب رحمه الله . كاتب هذه الحروف محمد بن حسن صمدى عفى الله عنهما ووقاه من الفتن » .

والكتاب يشتمل على 117 ورقة ، 12 × 15 ، 28 سطرا ، رقم 498 (المكتبة النورية) .

وهو من تاليف الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ ابراهيم بن احمد القرشى التيمى (2) ، المعروف بابن بزيزة ، المولود (3) بتونس سنة 1219/616 ، والمتوفى بها سنة 1264/662 ، والمدفون بمقبرة محرز بن خلف . الف كتابه « الاسعاد » بتونس سنة 1246/644 كما يؤخذ من اوائل النسخة .

وفى وجه الورقة الاولى قبل نص الكتاب ترجمة له منقولة من كتاب

(1) المصدر السالف 8/289 ـ 290 ، وقسم الالقاب منه 11/190 .
(2) فى المصادر التى ترجمت له التميمى وهو تصحيف ، لان تميما ليست من قريش .
(3) فى بعض المصادر انه ولد سنة 1209/606 ، لكن الشريف الغرناطى ، القريب من عصره (والاتى النقل عنه) نص على انه ولد سنة 616 .

المشرق (١) تاليف احمد بن محمد القرشي الشريف الغرناطي ، نزيل تونس ، والمتوفى بها سنة 692/1292–1293، رأيت ان اثبتها بنصها لفقدان الكتاب المنقولة منه الترجمة ، وهي هذه : « هو عبد العزيز بن ابراهيم بن احمد القرشي ، ثم التيمي ، ثم التونسي ، يكنى ابا فارس ، ويعرف بابن بزيزة ٠ تفقه على ابي عبد الله السوسي (2) ، وعلى ابي محمد البرجيني (3) ، وابي القاسم بن البراء (4) وكان فقيها ، حافظا لمسائل الفقه ، وحافظا للحديث ، وحافظا للاصليين ، وعارفا بالنحو ، وعارفا بتفسير القرآن ، وحافظا للادب ، ومشاركا في سائر العلوم ٠

وله تصانيف كثيرة ، منها : تفسير القرآن (5) ، ومنها في الفقه شرح التلقين ، (6) ومنها في الحديث شرح الاحكام الكبرى (7) ، ومنها في اصول الدين شرح الارشاد ، ومنها في النحو شرح المفصل والجمل ٠

وكان من اهل الدين – ولد – رضى الله عنه – بتونس يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم مفتتح سنة ست عشر وستمائة ٠ وتوفى – رحمه الله – بها ليلة الاحد الرابعة من ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستمائة ، وهو سبع واربعين سنة (8) ، انتهى » ٠

ووجدت في كتابه « الانوار في فضل القرآن وفضل الدعاء والاستغفار »

---

(١) ذكر فيه المصنفين من المشارقة والمغاربة ، وكتب الى بلاد المشرق للتطلع على ذلك ، وبذل في ذلك وسعه وجده ٠ وفي مدة اقامته ببجاية اجتمع باهل العلم ، وسألهم عما صنفوه ، فاعلمه الشيخ ابو عبد الله التميمي بما صنفه ، وذكره في تاليفه ٠ (راجع : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، لاحمد الغبريني ، ط بالجزائر 1328/1910 ، ص 212–213 ، ونيل الابتهاج 64 ، نقل باختصار ما في عنوان الدراية ، وشجرة النور الزكية 199 ، رقم 672 ، ومعجم المؤلفين 145/2) ٠

(2) هو محمد بن عبد الجبار الرعيني ٠

(3) هو عبد السلام (ت٠ 630/1233) ٠

(4) هو قاضي الجماعة ابو القاسم بن علي بن البراء التنوخي المهدوي ، المتوفى بتونس سنة 677 (شجرة النور الزكية 191 ، رقم 640) ٠

(5) جمع بين الزمخشري وابن عطية ٠

(6) هو للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي (ت٠ 422/1031) ٠

(7) هي لعبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الاشبيلي ، المعروف بابن الخراط (ت٠ 581/1185) ٠ وفي بقية المراجع انه شرح الاحكام الصغرى ٠

(8) كذا بالاصل ، ولعل الصواب : وهو ابن سبع واربعين سنة ، او نحو هذا من زيادة مضاف قبل سبع ليستقيم التعبير ٠

ان من شيوخه ابا الحسن على بن احمد الحرالى التجيبى ، الصوفى المرسى الاصل ، المراكشى المولد (ت. 638/1241) .

ومن مؤلفات ابن بزيزة : « المنقول فى معجزات الرسول (ذكره فى كتابه « الاسعاد ») .

« منهاج العوارف الى روح المعارف (1) » بين فيه مشكلات الاى والاخبار .

مختصره « ايضاح السبيل الى مناحى التأويل » (2) (ذكرهما مرتين فى كتابه الاسعاد) .

« التنبيه على مواضع من منهاج الادلة لابن رشد الحفيد » (ذكره فى كتابه الاسعاد « ... وله فى كتابه الصغير الذى سماه « منهاج الادلة » مواضع نبهنا عليها ، وفيها غلط فاحش) » .

شرح الاسماء الحسنى ، اشار اليه فى كتابه « الاسعاد » فقال : « بدأ الامام بالاسم الاعظم الذى هو قطب الاسماء ، والجامع لمعانيها ، وقد رأينا ان نفرد الكلام عليها كتابا مستقلا بنفسه ، جامعا لحقائقها ، مطلعا على اسرارها - ان شاء الله تعالى - وامهل فى العمر ، ويسر لتتميم هذا القصد الجميل ، والله يجعل ذلك لوجهه ... »

« الانوار فى فضل القرآن والدعاء والاستغفار » رسالة صغيرة فى 28 ورقة ، بخط تونسى ، 20،5 × 15 ، 29 سطرا ، بها اثر رطوبة ، وباسفل اوراقها ثقوب سوس ، رقم 131 (المكتبة النورية) .

أورد فيها اربعين حديثا فى فضل القرآن ، وما اعد الله سبحانه لقارئه والعاملين به من الثواب الجزيل ؛ ثم ذكر آثارا فى فضائل بعض السور ؛ ثم عقد بابا فى ما اخبر عنه النبى - ص - من الامر بذكر الله عز وجل ، والترغيب فيه ، وما للذاكرين من الأجر الجسيم ؛ وآخرها باب فى الدعاء .

ومن مؤلفاته شرح العقيدة البرهانية (3) .

---

(1) فى مصادر ترجمته ورد اسمه هكذا : منهاج المعارف الى روح العوارف .

(2) فى مصادر ترجمته ورد اسمه هكذا : ايضاح السبيل الى مناهج التأويل .

(3) راجع ترجمة ابن بزيزة فى : نيل الابتهاج 178 ، تاريخ الدولتين للزركشى 29 (وما فيه شهر بابن نويرة ، تصحيف) ، نزهة الانظار لمحمود مقديش 218/1 ، وفيه ابن بزيزة ، مع ان تراجمه تكاد تكون مأخوذة بنصها الحرفى من الزركشى ، شجرة النور 190 ، رقم 638 ، معجم المؤلفين 239/5 ، اتحاف اهل الزمان لابن ابى الضياف 162/1 ، وذكر انه توفى سنة 1262/660 ، الامام المازرى للاستاذ ح. ح. عبد الوهاب ، 42 - 43 ، R. Brunschvig, La Bérbérie Orientale sous les hafsides, 376/2 .

د) قطعة من تحفة الاخبار فى فضل الصلاة على النبى المختار ، تاليف محمد ابن قاسم الرصاص الانصارى ، التونسى (ت ، 894/1489) (1) • بخط محمد بن منصور بن مرزوق الفراسى نسبا ، الاربسى بلدا ، التونسى مسكنا ، تلميذ المؤلف • فرغ من نسخها فى يوم الاربعاء 7 محرم 884 •

وفى ظهر الورقة الاخيرة خط حفيد المؤلف وامضاؤه : « الحمد لله فى يد عبده وابن عبده الفقير الى الله تعالى ابو القاسم (2) بن المنعم المرحوم ابن العباس احمد بن المنعم المرحوم سيدى محمد بن ابى القاسم بن ابى يحيى بن ابى الفضل ابن المرحوم محمد الانصارى مؤلف هذا الكتاب نفعنا الله به » ، ويلى ذلك امضاؤه (عقده) •

بالنسخة نقص من اولها ، وفى اماكن متفرقة من وسطها ، وباوراقها اثر رطوبة ، وبعضها مخروم •

20 × 14،2 ، بين 16 و 17 سطرا ، 150 ورقة ، رقم 135 (المكتبة النورية)•

س) الاجوبة التونسية على الاسئلة الغرناطية ، تاليف محمد بن قاسم الرصاع الانصارى ، السابق الذكر • اجاب بها عن اسئلة وجهها له محمد ابن يوسف العبدرى المواق ، مفتى غرناطة ، المتوفى سنة 897/1492 (3) •

وهى بخط ابى النور بن احمد السوسى ، تلميذ المؤلف ، وبآخرها ما نصه : « قرى (4) جميع هذه الاجوبة على سيدنا وبركتنا وعمدتنا الشيخ الفقيه الامام العلم القدوة الاعدل المفتى الخطيب بالجامع الاعظم من تونس المحروسة ابقا (5) الله بركته وادام عافيته قراءة تصحيح قراها عليه ربى نعمتهم الفقير الى رحمة الله تعالى ابو النور بن احمد السوسى اغناه الله به » •

وبعده بخط المؤلف : « قابل الطالب المكرم المجتهد ابو النور الجواب المذكور وصحح ذلك من المبيضة تصحيحا على قدر الاجتهاد والله سبحانه يصلح منا الفساد ويحملنا على طريق السداد والرشاد ، قال ذلك وكتبه مصليا على نبيه ومولاه شفيعه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وكتب فى تاريخ اواخر شهر جمادى الاولى عام 80 عرف الله خيره يمنه وفضله » يلى ذلك امضاؤه (عقده) ، ثم « وفقه الله تعلى ولطف به يمنه وفضله امين » • والنسخة بها نقص فى اماكن من وسطها ، واوراقها بها اثر رطوبة ، والكثير منها مخروم من وسطه •

---

(1) راجع ترجمته فى الاعلام 228/7 ، و 222/10 ، ومعجم المؤلفين 237/11 •
(2) كذا بالاصل •
(3) ترجمته فى الاعلام 30/8 ، ومعجم المؤلفين 133/12 •
(4) ، (5) كذا بالاصل •

21،3 × 15،3 ، 18 سطرا ، 97 ورقة ، رقم 444 (المكتبة النورية) ٠
ص) يلي الاجوبة كتاب « شرح غريب الالفاظ المدونة » تاليف الجبي (1) ٠ خط تونسي ، في آخر الكتاب « تم الكتاب بحمد الله وعونه والحمد لله كثيرا كما هو اهله وفي ثامن عشر لمحرم عام تسعة وثمانين وثمانمائة وصلى الله على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله » ٠

25 ورقة بها اثر رطوبة ٠

ط) اختيار الرفيق لطلاب الطريق ، تاليف احمد سلمة المقدسي (ت٠ 769/1367) (2) ٠

في تراجم الصوفية ، ومناقبهم واقوالهم : مرتب على حروف المعجم ، مع ضبط للانساب والالقاب ، كتبه مؤلفه في زمن الملك الناصر ٠ وجاء في خطبة الكتاب : « فألفت هذا المختصر ، جمعت فيه اسماء مشايخ القوم ما تفرق في كثير من الكتب المطولة ، وقيدت من انسابهم ووفاتهم ، ما أخل به من صنف في هذا الفن واهمله ورتبت اسماءهم على حروف المعجم ، ليسهل على الناظر فيه حصول المقصود واتيت فيه بغرائب بذلت في تحصيلها من مظانها غاية المجهود ، وانتقيت من مناقبهم المودعة في كتب هذا الفن الخالص اللباب ، وأودعته من غريب اشاراتهم ، وعجيب كراماتهم ، ما يرشد به سالك هذا الطريق – ان شاء الله – الصواب ، فلذلك سميته « اختيار الرفيق لطلاب الطريق ») ٠

«٠٠٠ولما نجز ترتيبه على الغرض المطلوب ، ووافق تهذيبه في ايام السلطان الملك الناصر الذي جبلت على محبته القلوب ، يتقرب اليه بمصنفاتهم المفيدة علماء الاسلام ، وعم عدله الشامل ، وفضله الهامل ، الخاص والعام ، استخرت الله تعالى ان ارسم هذا المصنف المفيد باسمه الشريف ، واقدمه بين يديه تحفة الفقير المقبل الضعيف ٠٠٠» ٠

وفي مطاوي الكتاب شيء من احوال المؤلف ، فقد ذكر في ترجمة الحافظ ابي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت٠ 507/1113) ما نصه : « المقدسي : بفتح الميم ، وسكون القاف ، وكسر الدال والسين المهملتين ، نسبة الى بيت المقدس ، بلدنا ، زاده الله شرفا ٠٠٠ » ٠

ويستفاد مما ذكره عقب ترجمة معروف الكرخي انه دخل مصر ، وزار قبري اشهب وابن القاسم ٠

---

(1) لم اجد له ترجمة ، وسألت عنه جماعة من المطلعين الخبراء بالكتب وكاتبت اخرين فلم اظفر بطائل ، لذا فالمرجو ممن يعرف ترجمته التكرم بالافادة

(2) معجم المؤلفين 236/1 نقلا عن ٠ Brockelmann S II, 148.

وكان من اتباع الطريقة السهروردية ، على مايفهم من كلامه فى اول ترجمة شهاب الدين عمر بن محمد بن عمويه السهروردى (ت· 632/1234) « شيخ شيوخنا ، ومن عليه فى طريقة التصوف اعتمادنا ، واليه رجوعنا » ·

والمؤلف لا يذكر مصادره فى ضبط الانساب والوفيات الا نادرا ، كأن يكون هناك خلاف فى ضبط الانساب او تعيين تاريخ الوفاة ، او يكون المصدر الذى نقل عنه انفرد بذكر الوفاة او شىء من احوال المترجم له · وهذه المصادر التى ذكرها : الانساب للسمعانى ، المنتظم فى تاريخ الملوك والامم لابن الجوزى ، مناقب ابراهيم بن ادهم ، ومناقب الفضل بن عياض ، لابن الجوزى ، تاريخ دمشق لابن عساكر ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد لابن النجار ، سير السلف للطلحى ، اسامى المشايخ لمحمد بن خفيف ، الاكمال لابن ماكولا ، رسالة القشيرى ، طبقات السلمى ·

واعتمد مرة على الرواية الشفهية فى ترجمة ابى يعقوب اسحاق بن محمد النهرجورى ، المتوفى بمكة 330 هـ ، فقد قال عقب ضبط النهرجورى ، ونسبته الى نهر جور : « سألت عنها بعض الحفاظ ، فقال : سمعت غير واحد من التجار يقول : نهر جور بلد بالمشرق ، والله اعلم » ·

وفى اخر الكتاب : « كمل الكتاب المبارك على يد الفقير الى الله وكتبه لنفسه ولمن شاء بعده ··· عبد الرحمن بن محمد بن زكرياء بن محمد بن زكرياء بن يحيا التونسى مسكنا بطمة ترغود بلدة المرينى شيئا وكتب بداخل مدرسة ابن الحكيم بدرب ابن عبد السلام بمقربة من جامع الزيتونة وكان الفراغ منه يوم الاثنين عند اذان الظهر وقد مضى من شهر شوال اربعة ايام من عام ستة وثمانين وثمانمائة عرفنا الله خيره وبركته » ·

خط تونسى بين الرداءة والجودة · والكتاب ناقص نحو الورقة من اوله ، ومن اواخر حرف الياء · وبه اثر رطوبة ، وببعض الاوراق بداخله اثر يسير لحرق النار ·

21،2 × 15، 19 سطرا ، 102 ورقة ، رقم 674 (مكتبة الكراى) ·

محمد محفوظ

المسيرة الكبرى

شعر : محسن بنحميدة

ها نحن نزحف عبر غابات الوجود
وطريقنا صبح جديد
نور على نور يحدق في السحاب
وأنا وأهلي والصحاب
النور في حدقاتنا دفء ونار ...
فتحت سماء الكون أبوابا كبار
والأرض جاهضة تصيح
تلد الضيا تلد النهار

* * *

عفنا البقاء لدى الخراب
عفنا السلام لدى الرقاد
وفي ظلال الواحة الخرساء ...
إنا قد حلفنا أن نسد مدى الفراغ
يا إخوتي سيروا معي عبر الصراع
لا تتركوا حدقاتكم في الليل والأهوال
ينهبها الضلال
لا تتركوا أيديكم في الثقل والأوحال
يصرعها المحال

* * *

فيما تعددتم قديما لا نجاعة لا أمل
إخواني أنتم هالكون

ففى البقاء لدى الخراب
لدى التسكع والتخلف والضباب
عين الجنون
سيروا معى نحو الضياء
عبر الصراع
نحو الحياة أسير أثبت أن ذا الكون العظيم
لى قد خلق
إنى ولدت لأكتسى كبر الوجود
ولست وحدى فى الطريق
إنهم مثل ملايين تفيق .
وتضاعف النور اليقين
سنسير تحدونا الكواكب والنجوم
وقوى الطبيعة فى مسيرتنا تلين
الكون نطويه بخطوه
والسر نجلوه بنظره
النور فى حدقاتنا دفء ونار
وعبر غابات الوجود
نلد الضيا نلد النهار
نلد الخلود

محسـن بنحميـدة

* حنين *

شعر : زبيدة بشير

حبيبي ...
اذا جاءك المغرضون
وقالوا : لغيرك غنّت
وقبلك كانت أحبّت
فلا تلق بالاً لما يدّعون
فما كان يمكنني أن أحب
وهل في الوجود سواك يُحب ؟!

أيا منقذي من ضياعي الرهيب
تضوّع عمري بأغلى الطيوب
وفاح العبير ...
يبارك حبي الكبير ... الكبير
لعينيك قلبي يحن ويهفو
على ذكرياتك أصحو واغفو
فأنسى العذاب وأنسى الشقاء
وأحلم نشوى .., بيوم اللقاء..

بدنياك أرتاح يا صنو روحي
وأحلام عمري حققتها ..
فقل للذي يدعي غير هذا :
لقد ولدت يوم أحببتها !..
فقد كنت قبلك أجتر عمري
وبأسي المرير يمزق صدري

وَأشْرَقْتَ يَا بَسْمَةَ العُنْفُوَان
لِتَغْمُرُ رُوحِي بِدِفْءِ الحَنَانِ
وَيَسْخُو الرَّبِيعُ بِأغْلَى الامَانِي
فَأهْوَاكَ حَتَّى يَغَارَ الهَوَى ...
أيَظْمأ مَنْ بِالحَنَانِ ارْتَوَى ؟..

أضُمّ خَيَالَكَ فِي وحْدَتِي
فَيُنْكأ جرح بقلْبِي انْدَمَلْ
وَتُمْطِرُنِي غَيْمَةَ مِنَ أمَلْ
فَأسْخَرُ بِالنُّصْحِ وَالنَّاصحِينْ
وَأتْرُكُ نَفْسِي نَهْبَ الحَنِينْ
فَإنْ أنَا قَاوَمْتُ صَبْرَ السِّنِينْ
وَصَمْتَ اللَّيَالِي ... وَطُولُ المَلَلْ
فَكَيْفَ سَأهْرُبُ مِن لَهْفَتِي ؟...

فَلاَ تُلْقِ بِي فِي مَهَاوِي الضَّيَاعْ
فَقَدْ أنْهَكَ القَلْبَ طُولُ الصرَاعْ
فَدَعْنِي لِوَهْمِي يُغَذّي خَيَالِي
أيَا بَسْمَةً من عطَاءِ المُحَالِ ...

ز. ب.

هدية الصديق

شعر : رياض المرزوقي

شِعْرِي أنَا أرَقّ مِنْ رَقِيــقِ　　كَنُبْلَـةٍ تَذُوبُ فِي العقيــقِ
كَالخصْرِ اذْ يُداعِبُ الامَانِي　　كَالكفّ اذْ تَهُمُّ بِالتَّطْوِيقِ
كَوَرْدَةٍ صَيْفِيَّةِ العَبِيــرِ　　كَالحُلْمِ فِي نهايةِ التَشْوِيقِ
قَلْبِي أنَا يأكلُهُ ادّعَــائِــي　　حُبِّي أنَا يَسِيلُ فِي عُرُوقِــي
غَذّيْتُهُ مِنْ مُقْلَةِ الضِيَــاءِ　　عَلّقْتُهُ فِي عَالِمِ الشُّرُوقِ
وَجِئْتُهُ من خَاطِرِ الدوالــي　　بِأجْمَلِ النِّساءِ فِي طَرِيقِي
المخلبُ الغَدّارُ فِي فُــؤَادِي　　قَدْ لَجّ فِي التَمْزِيقِ والتحريق
سَأُسْبِلُ العُيُونَ فَاطْمَئِنِّــي　　لَنْ تَسْتَبِينِي لَمْعَةَ البَرِيــقِ
سَأضْرِبُ الجُرُوحَ بالجُروحِ　　وَأسْتُرُ الحَرِيقَ بِالحَرِيــقِ
أشْوَاقِي الحَمْرَاءِ لَنْ تريهَا　　ودمْعِيَ المَسْعُور لَنْ تُطِيقِي
سَعِيدَةً أُرِيدُهَا أمَــامِــي　　وَلَوْ عَلَى حُطَامِيَ الغَرِيــقِ

* * *

صَدِيقتِي ، هَذِي يَدِي خُذِيهَا　　هَدِيَّةَ الصّدِيقِ لِلصّدِيقِ

د - م

مطالعات

الاجتهاد والتجديد في الاسلام

بقلم : جعفر ماجد

نشرت الشركة التونسية للتوزيع تحت اشراف كتابة الدولة للتربية القومية مجلدا ضخما فى التربية الاسلامية لقسم الباكلوريا عنوانه الاجتهاد والتجديد فى التشريع الاسلامي . وضع الكتاب لجنة من الاساتذة وهو يقع فى 409 صحيفة ويستجيب لمقتضيات البرامج المدرسية فى التربية الدينية ويشتمل الكتاب على مقدمات فى الاجتهاد وفصول فى اجتهاد الرسول والصحابة وحركة الاجتهاد لدى الائمة وفى الوسطى او ما سماه اصحاب التأليف عصر التقليد وينتهى الى محمد بن قيم الجوزية ، وينتهى الكتاب بأبواب فى حركة الاصلاح والتجديد فى العصر الحديث الى عهد محمد رشيد رضا ، فالكتاب مرجع مدرسى فى الاجتهاد قد لا يستغنى عنه غير التلاميذ ممن تضطرهم السرعة الى مراجعة عابرة بمناسبة من المناسبات .

ما هو الاجتهاد وما هى احكامه ؟ جاء فى القسم الاول من هذا الكتاب ان (الاجتهاد عند علماء الاصول هو بذل الفقيه الوسع فى استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها) واثبت اصحاب التأليف ان الدين لا يحفظ الا اذا كان باب الاجتهاد مفتوحا الا ان المجتهدين لا بد ان تتوفر فيهم شروط ويبدو ان اصحاب التأليف لم يمسوا الشروط الموضوعة بشيء من النقد ولم يتصرفوا الا فى عباراتها احيانا اما الشروط المذكورة فهى حذق اللغة العربية ، العلم بالقرآن ، العلم بالسنة ، معرفة الناسخ والمنسوخ العلم بالاجماع ، معرفة مقاصد الشريعة ، سعة العقل ونفاذه الى شؤون العصر ، ولعل الشرط الاخير ان يكون ثمرة اجتهاد المؤلفين ، وكم كنا نود ان يقع الالحاح فى دور العقل خاصة فى العصر الحاضر ، وهو عصر لا يمكن على كل حال ان يحتل فيه العقل المرتبة السفلى من هذه الشروط السبعة ، ومن نفيس ما فى الكتاب نصوص مشاهير العلماء جمعت فى باب للمطالعة يأتى اثر كل فصل الا ان النصوص قد تكون احيانا اوسع ابعادا من الدرس واغزر مادة .

ففى الباب الاول مثلا ، وهو فى الاجتهاد ، يقرأ القارىء فصلا عنوانه (ما المراد بالاجتهاد) بقلم على الطنطاوى ، واذا نحن لم ننس ان هذه النصوص اعدت لتلاميذ لا لعلماء فى الفقه ، امكننا ان نعجب لوجود نص فيه حديث عن التلفيق وجوازه وعدم جوازه والتلفيق لا يفهم الا بعد ذكر المذاهب واختلاف الفقهاء ولا ندرى لماذا جاء الحديث عن الاختلاف مقتضبا جدا دون بيان مجال الاجتهاد فيه بينما كان القدماء يرونه رحمة وقد اطنب المعاصرون فى ذكر

فوائده ومدلولاته واورد المؤلفون طائفة من نصوصهم قد تغنى عن الدرس وتشفى الغليل .

وقد بحثنا فى المذاهب الاجتهادية عن ذكر المعتزلة بالرغم من ان الاعتزال لم يكن مذهبا فى ذاته الا انه كان حركة دينية فكرية جنبت الاسلام طعنات المجوسية وجاهدت فى سبيلها بالعقل ضد اعدائه من اصحاب الجدل والفلسفة ، بل اننا نلمس فى بعض الاحيان تعصبا عليهم كقولهم فى الحديث عن محنة ابن حنبل ، وحمل المأمون علماء العصر على اتباع مذهب الاعتزال (فنفذ العمال امر الخليفة وجمع كل منهم علماء اقليمه واطلعهم على الامر فرضخ الضعفاء منهم متظاهرين بوجهة نظر المعتزلة والرأى عندى ان التعصب على المعتزلة لا يستسيغه طلبة السنة السادسة من التعليم الثانوى وهم يقرأون من دروس الفلسفة ما لا سبيل بعده الى ابطال الرأى ، بل خير للاسلام ان نقول اليوم على الاقل ما قاله أحمد أمين الذى عد القضاء على المعتزلة فى عهد المتوكل قضاء على الفكر الاسلامى .

وليس من باب الصدفة ان كان القسم الذى يختص الحديث عن الامام أحمد ابن حنبل ، يحمل هذا العنوان عصر التقليد ، الا ان الملم بشيء من تاريخ التفكير الاسلامى لا يرى مبررا لهذا العنوان والباب ليس فيه الا ابن عرفة وابن تيمية وابن قيم الجوزية ، اذ ان كان ابن عرفة يعد فى المقلدين فان تقى الدين أحمد ابن تيمية من المجتهدين الذين لم يعرف الاسلام منهم الا القليل النادر ناهيك انه حرم زيارة القبور وافتى فى الحلق بالطلاق ومات فى السجن محكوما عليه فى مجلس القضاة ، وكان ابن تيمية فى حياته من المجاهدين فى وجه اصحاب الفرق والمتعصبين من اصحاب المذاهب ، ولكن السطور القليلة التى خصصت له لا تفى بالحاجة ، فالتعرض لارائه الخطيرة سريع ناقص وامهات تصانيفه غير مذكورة وحتى النصوص الواردة فى ركن المطالعة ضئيلة القيمة بالنسبة لاثار ابن تيمية والدراسات التى كتبها عنه المستشرقون وغيرهم .

وانه من الصالح فى رايى ، ان تقع الاشارة على الاقل الى العلاقة الموجودة بين آرائه والحركة الاصلاحية الوهابية اذ ان الكثير من هذه الاراء عاشت الى هذا العصر وحققت ما كان يطمح اليه ابن تيمية من توثيق الصلة بين العلماء والامراء . ولو التفت مؤلفو الكتاب الى هذه الناحية لبينوا لتلاميذ السنة السادسة بالادلة التاريخية دور الاجتهاد والاصلاح فى الحياة السياسية اولا ، وامتداد حركة ابن تيمية الاصلاحية الى الحركة السلفية التى نشأت على ايدى جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ، اما اعلام حركة الاصلاح والتجديد او القسم الاخير من هذا الكتاب فهم محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الافغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا .

وقد استلطفنا ادراج جواب عمر المحجوب التونسى فى الرد على رسالة

محمد بن عبد الوهاب الى علماء الاسلام اذ فى هذا الجواب بيان لوجه من حياتنا الفكرية فى ذلك العهد وهو مقتطف من تاريخ ابن أبى الضياف ولكننا وددنا لو عرف المؤلفون فى سطر او سطرين بعمر المحجوب وابن أبى الضياف مرجع فى ذلك ٠ اما الحديث عن الحركة السلفية ، فلم يغفل فيه المؤلفون عن عناية المصلحين وخاصة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده بالناحية الاجتماعية وان كانت هذه الفكرة تحتاج الى المزيد من البحث والتحليل لانها من ابرز خصائص الاصلاح السلفى ولا ندرى لماذا انتهى الكتاب عند محمد رشيد رضا بصورة فجائية ولم يقع التعرض حتى الى نتائج الحركة السلفية ، ومعروف ان هذه الحركة اذا كانت لم تحقق كل اهدافها الدينية فقد بعثت فى العالم الاسلامى نفسا اصلاحيا كان الى السياسة اقرب ، فحقق تلاميذ الافغانى وعبده الكثير مما كان يحلم به جماعة العروة الوثقى ٠

والكتاب فى جملته كسب لتلاميذ المدارس الا ان حظ الاجتهاد فيه ٠ وان كان فى الاجتهاد ضئيل ٠ فأكثره نصوص للمطالعة ، اما الدروس فهى جد مقتضبة والكتاب يتيح لنا فرصة لحث الشركة التونسية للتوزيع على خدمة القارىء التونسى وترويج الكتاب التونسى فثمن كهذا الثمن زهيد حتى لا نكلف القارىء من امره عسرا ٠

جعفر ماجد

التمزق النفسي في « دفنا الماضي »

لعبد الكريم غلاب

اتجه الاستاذ عبد الكريم غلاب الى القصة منذ ان كان يصدر مجلة « رسالة المغرب » ألمع المجلات الثقافية فى المغرب العربى أوائل الخمسينيات • وقد كانت القصة فى انتاجه الادبى تلمع من حين لآخر فى خضم الدراسات والابحاث والمقالات والكتب التى حفلت بها حياته الادبية ، تلمع وكأنها رصد لتجربته الحافلة التى خاض فيها غمار الوطنية والسياسة ، وانتقل فيها من دنيا « الحرية » الى دنيا السدود والقيود ، ومثل فيها أمام عدة محاكم ، وتعرض لاعنف التيارات كجزء من المعركة لا كواحد متفرج من بعيد • وابتسم له عهد الاستقلال أولى بسماته فكان من مؤسسى سياسته الخارجية وانتقل من سجين يحمل رقما الى وزير مفوض ، ثم انطلق فيه الانسان الثورى ليثور من جديد على زيف الوظيف السامى فيستقيل مفضلا القلم المتحرك على الكرسى الثابت • ولعله كان فى حاجة الى هذا الفصل من ثورته لينجز مجموعة الكتب التى اختزنها طوال تجربته الحياتية فكان له منها حتى الآن نحو اثنى عشر كتابا فى الادب والسياسة والقانون ، ولكن ألمعها وأكثرها نبضا بالحياة القصة والرواية •

أصدر حتى الآن مجموعة قصصية « مات قرير العين » وروايتين « سبعة أبواب » و « دفنا الماضى » وقد صدرت الرواية الاخيرة فى بداية الشتاء الماضى عن احدى دور النشر فى بيروت •

الثورة هى الطابع العام فى الادب القصصى عند غلاب فمن وراء الابواب السبعة ظل يدق باب الحرية حتى انفتح فى وجهه ، وفى سبيل الثورة انطلق « حارس المتحف » يحطم تماثيل الآلهة ، وثارت مارى على جان فى « والى الابد » ، وفى سبيل الثورة غرق « الفيلسوف » فى ضباب العقل ، وحطم عمى على قصبته ، وهى كل ما كان يربط بالحياة • وفى سبيل الثورة تحرك أبطال « دفنا الماضى » : عبد العزيز ، عبد الرحمن ، وحتى محمود الذى وقف وراء كرسى المحكمة يحكم على الوطنيين بالاعدام ، حتى هو لم يكن الا ثائرا يقتص من مجتمع كان نتاج لعنة من لعناته •

فى هذا الخط سار عبد الكريم غلاب فى أدبه القصصى ، لذلك أراه ملتزما طريق الثورة وطريق الحرية فى صوفية لا نكاد نجدها عند كثير من الكتاب •

غير ان هذه الثورة ليست سطحية تلمس الموضوع وتفتعل الحدث وتحتال للاثارة وتعتمد على الاسلوب لتؤكد ثوريتها ، وانما هى عميقة عمق الانفعال بها • واذا عرفنا ان عبد الكريم غلاب عاش فى ثورية لافحة أدركنا ان للثورة التى عكسها أدبه جذورا عميقة لا يتلمسها فى المظهر فحسب ، ولكنه يستبطنها فى النفس الانسانية ويحرك مكتمنها ليبعثها من عالم المغلق الى العالم المتفتح ، بل انه يهدف فى « دفنا الماضى » الى تعرية المغلق ليجعل من الماضى الذى قاد الحياة ردحا من زمان نتيجة صراع داخلى وتمزق نفسى خطير • بل هو أخطر ما فى حياة الماضى ، وهو الوسط الذى ألهب ظهر هذه الحياة فبدت كما هى جديرة بان تدفن أو هى جديرة بان تكون ما تزال بعدفى حاجة الى دفن ، كما همس عبد العزيز فى أذن عبد الرحمن فى السطر الاخير من الرواية •

نحن اذن امام دراسة نفسية عميقة وفر لها الاستاذ غلاب كل طاقاته الفنية ليجعل من الرواية الملتزمة مجالا للتحليل النفسى ولتعمق ما وراء الحدث • واذا كانت هذه الدراسات تستبد اليوم بجهود الباحثين الاجتماعيين والمؤرخين المحدثين ، الذين لم يعودوا يؤرخون الحدث وأبطال الاحداث بمقدار ما يؤرخون الباعث النفسى والاجتماعى الذى يدين المجتمعات فيقلبها أو يحولها ، فان هذا الاتجاه فى الادب جدير بان يلفت نظرنا فنرصده ونوجهه ونعنى بتسجيله كاتجاه جديد فى الادب العربى •

رواية « دفنا الماضى » مثال حى من هذا الاتجاه الذى يستبطن النفسية الانسانية ويبحث عن الدافع النفسى وراء الحدث ، ويربط المرحلة المجتمعية بالقوة النفسية التى تسيرها • ولذلك كان الماضى الذى حاول ان يدفنه – فانتهى الى انه لم يمت بعد – ليس احداثا واقعية أو متخيلة فحسب ، ولكنه نفسيات متصارعة منفعلة متمزقة ثائرة ، تصطدم فى عنف أو تكبت ثورتها واصطراعها فتزيد فى الانفعال والصراع • وتندفع لتؤكد تمزقها فتسوق الماضى الوجهة التى اختارها مؤلف الرواية والتى انتهى فيها الى ان الماضى بكل ابعاده ما يزال حيا ينبغى ان يدفن •

ليس من السهل ان يقتبس الناقد مواقف من الرواية ليدلل بها على هذا التمزق النفسى ، فخلف كل موقف صراع أو ثورة أو تمزق ، ووراء كل شخصية نفس تعانى محنة التمزق ، ولكنها لا تنهزم وانما تنطلق لتؤكد تمزقها فى انحراف الحياة أو فى عمل يكون عنصرا أساسيا فى هذا الماضى الحافل أو صورة من صوره الناطقة •

والكاتب لا يبرز ظاهرة التمزق هذه بالنسبة لبطلى الرواية « عبد الرحمن » و « الحاج محمد » فحسب ، ولكنه يوزعها بالقسطاس على كل شخصيات الرواية ، فهى جميعا أبطال وبطلات تلعب دورا رئيسيا على مسرح الماضى فتبينه كهيكل عات تصعب الثورة عليه ويتمنع عن عوامل التحطيم •

لنأخذ مثلا « ياسمين » هذه الشخصية التي لم تلعب دورا رئيسيا فيما يبدو من احداث الرواية ، فهي خادم منتقاة من سوق النخاسة تختفي داخل القصر الكبير وراء المطبخ أو خلف الاعمال المنزلية العادية ، ولكن نفس رب القصر الحاج محمد حينما تهفو اليها ويكون نتيجة هذه الهفوة « محمود » تصبح ياسمين بطلة فريدة في الرواية ، لا عن طريق العمل الذى تقوم به ، ولكن عن طريق النفسية الممزقة التي تدفع بها الى البحث عن مكانها الذى لم يعد بين الخدم ولم يرق ليكون بين السيدات ، وللبحث عن موقفها : هل هي أم لولد من الحاج محمد يسعى بين يديها ، أم هي مجرد خادم « اعتدى » سيدها على شرفها ؟ وللبحث عن مكان ابنها بين اخوته هل هو أخ لهم ولو اختلف لونه عن لونهم أم هو شيء آخر : « ولد الخادم » مثلا ، كما صفعته بهذا الوصف « أخته » عائشة ، وتقف الرواية أمام هذا التمزق الداخلي في فصل رائع يناقش فيه الاطفال أخوتهم وبنوة محمود لوالدهم « الحاج محمد » وعدم بنوّته لامهم خدوج (الفصل الثامن) يناقشون ذلك وهي تسمع لمنطق الاحداث على لسان أطفال يفلسفون هذه الاخوة غير الطبيعية ٠

المهم ان ياسمين أصبحت مثالا خطيرا للتمزق النفسي ولم يكن التمزق مظهرا لحياتها فحسب ، ولكنه نشر اشعاعه على حياة العائلة باسرها ، فكانت الغيرة التي نهشت كبد خدوج والاذلال الذى خضعت له وزوجها يؤدبها ويقتل بذور التمرد في نفسها حينما ينادى ياسمين في وضح النهار ويغلق الابواب خلفها تحت سمعها وبصرها ، (ص 55) وكانت نكبة خدوج حينما زوجت ابنها عبد الغني فاكتشفت اخيرا ان عروسه سمراء ابنة أمة (ص 184) ٠ ونشر هذا التمزق اشعاعه في نفس البنت الوحيدة « عائشة » التي ظهرت في بداية الرواية طفلة صغيرة تناقش مشكلة الامومة والاخوة وابن الحرة وابن الخادم مع محمود ٠ وكانت تختفي لتظهر مرة اخرى في طور آخر من حياتها حتى تبدت في نهاية الرواية وهي تجر اطفالها من حولها ٠ التمزق النفسي عند ياسمين ظهر بصورة انتقامية خطيرة وهي تصبه في نفس الفتاة الصغيرة « عائشة » : « الرجل يا عائشة رجل٠٠٠ صعب ، اياك ان تثقي به يا بنيتي٠ حينما ينظر اليك رجل ما ابتعدى عن ملتقى نظراته ، فهو لا ينظر اليك الا لشهوة في نفسه ، الرجال يأكلون الثمرة ويلفظون النواة ٠٠٠ اياك ان تكوني نواة ملفوظة ٠٠٠ الرجال ـ يا عائشة ـ يهدمون أخلاق البنات اذا رأيت رجلا فاعرفي ان وراءه الفضيحة ٠٠٠ الرجل مغر ٠٠٠ متودد ٠٠٠ الفتيات الصغيرات لا يفهمن الرجال ٠٠٠ حذار يا عائشة ان يغريك رجل أو يتودد اليك ٠٠٠ فانت تفهمين ما وراء الاغراء والتودد (ص 199) ٠

هذا الرعب القاتل الذى صبته ياسمين في نفس الفتاة الصغيرة لم يكن الا انعكاسا « انتقاميا » للاغتصاب الذى خضعت له ياسمين بحكم أنها أمة مما تملك اليمين ، ولكنه كان انعكاسا خطيرا في نفس فتاة العائلة الكبيرة يدعوها مستقبلها الباسم ان تكون على استعداد نفسي لاستقبال الرجل فتى أحلامها ٠

وكانت كلمات ياسمين تمزيقا لنفسية الفتاة عانت منه وقد شبت عن صبى : « وظلت الدوامة تلف كيانها كلما نبضت عروقها بهذا الذى يتحدى هدوءها ٠٠٠ ويثير اعصابها ويشعرها بالحنين ٠٠٠ بالثورة ، بالتمرد ٠٠٠ بعالم جديد يقتحم عليها صباها ، وحين يصطدم عالمها الجديد هذا بكلمات ياسمين المحذرة المنذرة كانت الثورة تبلغ فى نفسها وتسلمها الى عالم عقدته الرجل ٠٠٠ » (ص 258) وتتزوج عائشة على كره منها وهى لا تعرف من صور الرجل الا صورة الرعب القاتل الذى صبته ياسمين فى نفسها ويبلغ التمزق النفسى قمته وهى بين يدى رجل لا تعرف عنه الا انه ممن يهدمون أخلاق البنات ، ومن الذين وراءهم الفضيحة ، ومن الذين يأكلون الثمرة ويلفظون النواة ٠٠٠ تزوجت عائشة ، وكان أبوها (الحاج محمد) وأمها (خدوج) حريصين ـ وهى فى أيام عرسها الاولى ـ « ان يعرفا النبأ الذى يشغل فكر أب البنت وأم البنت قبل ان تصبح سيدة يعترف لها زوجها بالطهارة والبكارة والعفة ٠٠٠ ومرت الايام الاولى بطيئة تكدر صفو الاحتفال فيها الانباء الباردة التى يلفظها الخباء ـ خباء العروسين ـ ٠٠٠ وبدأ الهمس يرى بين المحتفلات فى منزلى العروسين ٠

ـ لا ٠٠٠ كارهة ٠٠٠؟

ولم يكن أحد يدرى سر ما يحتضنه الخباء ٠ وظل أحمد (العروس) يعالج فى صبر حزن عائشة فبدل من عبوسها ابتساما ومن صمتها نطقا ، ولكنها كانت تفاجئه ، كلما اقترب منها ، كما يقترب العريس من عروسه ، بوجه مصفر وأعضاء باردة مرتعشة وتنكر شديد مخيف ٠٠٠ وكانت عائشة تلجأ للصمت وتعيش فى افكارها :

ـ الرجل ها أنا ذى أمامه يتطلع الى فى شره ، انه هو الذى حدثتنى عنه ياسمين ما يزال يهم باغتصابى ، ما يزال يلح فى ان يكون عنيفا ، قويا ، صعبا معى ٠٠٠ اين مفرى الآن من ملتقى نظراته ، بل اين مفرى من قبضته وأنا الآن بين يديه ؟

ويهتف بها ضمير ينبض بالواقعية :

ـ ولكنه ظريف مؤدب يعاملك بلطف ويحنو عليك ويعترف بحبه لك ، ولم تبد منه حتى الآن مظاهر قسوة ولا عنف ٠

وتتراءى أمام العينين الحالمتين ياسمين وهى تهتف :

ـ لا تثقى يا بنيتى بالرجال ٠ أمامهم الغدر ووراءهم الفضيحة ٠٠٠ وتلف الدوامة عائشة لتزيدها تمزقا وحيرة وارتباكا » ألم تكن صورة الحاج محمد (والد عائشة) تنبعث أمام نظراتها وان لم تتبين ملامحه ؟ قدمته اليها ياسمين

دون ان تذكر اسمه أو تحدد ملامحه ، قدمته وهو يغتصبها فى عنف وقوة ويجر وراءه الفضيحة ، وها هو ذا يقفز أمامها كلما وجدت نفسها بين يدى عريسها ·

هذه المشاهد اختصرناها من الرواية لندلل على اشعاع التمزق النفسى من ياسمين الى النفس البريئة ، الجوهرة الكريمة فى عقد العائلة : عائشة ·

ولم تكن ياسمين وحدها مثالا للتمزق النفسى بين شخصيات الرواية العملاق ، فجميع شخصياتها وابطالها كانوا ضحية لهذا التمزق : عبد الرحمن، الحاج محمد ، محمود ، خدوج عبد العزيز ، عبد الله (الذى لم يظهر الا فى منظرين صغيرين ليعرب عن التمزق النفسى الذى كان ينشر اشعاعه فى المجتمع حتى وهو على ابواب التحرر) ·

ولكنا نأخذ من هذه الشخصيات أمثلة اخرى ومواقف أخرى :

محمود – مثلا – نتاج الاغتصاب ، الذى لم يكن فى عرف الحاج محمد والده اغتصابا ، وانما كان نتاج ما ملكت اليمين – وان لم يملك الا من دار النخاسة – محمود هذا كان أروع مثال للتمزق النفسى فى المجتمع الذى تحلله رواية « دفنا الماضى » ·

نشأ محمود فى وسط مجموعة من الاطفال يشعرون جميعا بالاخوة ، وتتركز هذه الاخوة حينما ينادون جميعهم – محمود من بينهم – « خدوج » بكلمة « ماما » ، ولو لم تكن خدوج هى أمه الحقيقية ، وحينما ينادون جميعهم – ومحمود من بينهم – والدهم الحاج محمد بكلمة « أبى » ولكنه سرعان ما بدأ يشعر بالميز ، وشعر بان التى كان يناديها أمى بدأت تضيق به ، كما لا تضيق باى طفل آخر من اخوته · وبدأت حركته فى المنزل تثير اعصابها · وبدأ اخوته يمتنعون عن ان يشركوه فى نشاطهم وألعابهم ، اما والده فلا يكاد يعنى به وهو يدلل اطفاله الصغار ويميزهم بالملابس والالعاب وطيبات الاطفال · « وبدأت كلمات جديدة تتسرب الى أذنه من اخوته الاطفال والطفلات : « الاكحل (I) » ولد الخادم » ··· ومع الكلمات تتداعى معان مضطربة لم تتضح لفكره الصغير ، غير ان شعوره بالميز كان يرسم لهذه الكلمات معانى تطفح بالعار وهو لا يدرى سببا لهذا العار » (ص 73) ·

من هذا المنطق بدأ التمزق يغمر نفس محمود ،وينمو هذا التمزق فى جو يكاد يكون ميزا عنصريا ، فلونه الاسمر يكاد يدل عليه ، يكاد يطبعه بانه نتاج اغتصاب فى كل مجتمع اقتحمه : فى الكتاب ، فى المدرسة ، بين اخوته ، بين أصدقائه · وتنمو عقدة اللون مع محمود مع نموه الجسمى والفكرى ،

(I) الأسود ·

ولكنه يعالج العقدة بالكفاح ليؤكد ذاته فلا يترك مجالا لاى كان ان يحتقره • دخل المدرسة بدلا من ان يستمر فى الكتاب لينتصر على بعض الميز من عبد الرحمن وليتخلص من النقمة التى يصبها عليه فقيه الكتاب بتحريض من والده ، ولكنه فى المدرسة يجد مجتمعا آخر هو مجتمع : « أبناء الاعيان » وينظر اليه اساتذة المدرسة كابن من ابناء الاعيان ، ولكنه يختلف عن أبناء الاعيان فهو اسمر ، وهو « ابن الخادم » كما يشى بذلك لونه ، وكما تؤكد ذلك الكلمة النابية تصدر من زملائه الذين أخذوا يشعرون بالميز فى نفوسهم الصغيرة عن هذا الطفل الذى يشى لونه بانه ليس منهم • ويحاول ان ينتصر وان يؤكد ذاته مرة أخرى متخلصا من العقدة التى تلاحقه فى كل مجتمع ارتاده فيؤكد وجوده عن طريق التفوق ، ولكن اللعنة تلاحقه ولو تفوق ، فى المدرسة والمنزل والمجتمع• وتأتيه الفرصة أخيرا ليحقق المساواة مع عبد الغنى أخيه الذى يملك المال ويتصرف بحرية فيغادر المدرسة الى الوظيفة ومن الوظيفة الكتابية العادية الى قاض فى محكمة الباشا •

فرصة نادرة أتيحت لينتقم من المجتمع • المجتمع الذى أبى ان يعترف به• التمزق النفسى يدفع به مرة أخرى ليحكم على الوطنيين ـ ولو بأمر من الحاكم الفرنسى ـ بالسجن ••• وبالاعدام •

لم يكن راضيا ولكنه منساقا ليؤكد ذاته فى مجتمع أبى أن يعترف به أو بأمه ، ولم يكن مرتاح الضمير ، ولكنه كان مرتاحا ليقوم بعمل ضد هذا المجتمع • ويلقى مصيره النهائى فى حادثة سيارة وهو فى غمرة التمزق بين واجبه الوطنى • ورغبته فى الانتقام وفى تأكيد الذات • يلقى مصيره فى مشهد رائع يسجله الاستاذ عبد الكريم غلاب فى ختام الرواية (ص388 ـ 92)•

كان محمود مثالا ممتازا لهذا التمزق الذى لا نجد ملامحه دفعة واحدة • ولكن الكاتب بمقدرته الفنية الرائعة يصبه قطرة قطرة منذ الصفحات الاولى للرواية حتى الصفحات الاخيرة منها •

ولم نشر بعد الى البطل عبد الرحمن ، أو الى البطل الثانى الحاج محمد • فللرواية بطلان يحققان صراعا خطيرا بين جيلين وحياتين ، بين الماضى والحاضر ، بين الاستمرار والثورة • وهل هناك مجال للتمزق النفسى أقوى من المراحل الثورية فى حياة الشعوب ؟ وهل هناك مسرح يظهر فيه التمزق أوضح من فترة مخاض يصطدم فيها جيلان كأقوى ما يكون الاصطدام وينبثق خلال القلق والصراع والكفاح فيها روح جديد يسير بالحياة الجديدة الى مصيرها ؟

لنأخذ شخصية عبد الرحمن ابن الحاج محمد ، الذى تمرد على الحياة التقليدية للعائلة فرفض ان يكون ابنا عاديا يتنقل من الكتاب الى المتجر ،

ويصبح بعد زوجا وأبا ، وتستمر الحياة من خلاله كما توارثتها عائلة التهامي أبا عن جد حتى وصلت الى الحاج محمد • رفض الاستمرار ليحقق معنى الاجيال الجديدة فاستعاض بالمدرسة عن الكتاب ، وبالجماعة السياسية عن مجمع العائلة ، وناضل داخل العائلة ليفتح نوافذ واسعة للتيارات الجديدة ، وناضل خارج العائلة فتقدم المظاهرة واقتحم باب السجن وحول التيار بين المناضلين لينصرفوا من التفكير في الماضي الى العمل من اجل المستقبل • وقف بشخصيته وراء كل حدث • وتحدى كل عمل تقليدي وقاوم تيارات الرجعية ونفخ الروح القوى الثائر في محمود ليشعره بكيانه وليقتلع من نفسه معنى العبودية وابن الامة • هذه الشخصية الثائرة المتمردة التي انعكست عليها كل ثورة المغرب كانت مسرحا للتمزق النفسي • سنوات من طفولته وهو يصارع ليعرف : هل سيكون في مستقبله مثالا للفقيه اليازغي أم سيكون مثالا للمدرس فرانسوا : « نموذجان قدما لعبد الرحمن في مبدأ الطريق وفي كل يوم من ايام المدرسة وفي كل درس من دروسها يطلب اليه ان يختار النموذج ليسير مترسما خطاه ••• » (ص 132) ويلاحقه التمزق في المنزل وهو يرى أخاه الاكبر عبد الغني ينتقل من الكتاب ليصبح تاجرا يملك المال ، وترشحه العائلة ليكون زوجا ، ثم تحتفي به العائلة كما لم تحتفل من قبل بزفاف • ويلاحقه عبد الغني هذا • وهو الاخ الاكبر الذي تجب له الطاعة والاحترام والتقدير ، يلاحقه في الشارع حينما يجده وهو ما يزال صغيرا يلعب مع لداته ، ويلاحقه في المنزل حينما يجده منصرفا الى كتبه وعمله المدرسي ، ويلاحقه حينما يشاركه الغرفة فيتكلم كما لو كان ينطق بالحكمة لفرط ايمانه بشخصيته التي يحاول ان يستمدها من كونه أكبر الاخوة سنا ••• (ص 161) ـ وكان عبد الرحمن يضيق بهذه الشخصية التي تحاول ان تفرض عليه وجودها لانها شخصية المال والتجارة والنموذج المصغر للحاج محمد • « هذا الشخص الذي يتلهى بمضغ « المصطكة » ويقتل فراغه في الحركات الآلية يسرع بها فمه دون وعي وتصدر من بين اسنانه فرقعة من حين لآخر وكأنه يحاول ان يونس بها وحدته المطلقة •••

كان عبد الغني مصدر تمزق نفسي لعبد الرحمن • لانه كان ، بما فيه من تفاهة وفراغ مطلق ، كأنه يقدم للعائلة النموذج الذي يجب ان يحتذيه عبد الرحمن • ومن ثم كان يعمل بكل جهده ليتخلص من هذا النموذج التافه الذي يفرض عليه ، ولم ير سبيلا لذلك في غير الثورة • تمزقت نفسه ازاء عبد الغني فانفلقت في شكل ثورة عارمة لا تكاد تحتك بعبد الغني الا لتنفجر ثائرة تؤكد ثوريتها وانطلاقها •

وكان ثورات هذه الشخصية النادرة في رواية « دفنا الماضي » كلها تعبيرا صادقا عن التمزق أو هي في الحقيقة نتيجة التمزق : ثار على الحاج محمد لينزل

به من عليائه وليشعره بحقيقة شخصيته حتى انتهى بعد ان انتهى منه عـزه وسطوته وأفكاره وتعليماته والطاعة التى كان يتمتع بها فى المنـزل والسوق والعائلة · وثار على السلطة التى تحكم المدينة نتيجة التمزق النفسى وهو يرى شعبه يصبح فريسة النهب والعدوان والسيطرة ، وكانت ثورته تنفيسا عن تمزقه النفسى فاندفع يؤكدها فى المظاهرة ، فى السجن ، فى تعبئة الجماهير ، فى الايحاء لعبد العزيز بالمنطق الجديد : العمل المسلح · يتجلى هذا الاعداد النفسى منذ ظهر عبد العزيز على مسرح الرواية (ص 303) منذ ظهر وهو يقنعه بان الماضى انتهى ، الماضى طويناه ، دفناه ، حتى سمع صوت عبد العـزيز وهو يهتف به من وراء بوابة غرفة السجن فى طريقه الى الاعدام : الى اللقاء فى الجنة يا عبد الرحمن · أبشر فقد استقلت بلادى (ص 372) ·

ويبلغ التمزق أقصى مداه والرواية العملاق تلفظ أنفاسها فى هذه الفقرات : « نفض عبد الرحمن يده من تراب الحاج محمد ، وسار فى طريقه الى القصر بين جماعة من أفراد العائلة واصدقائها ··· سار وفي أذنه صوت يدوى :

ــ دفنا الماضى ·

سار ثم سار ··· ومن خلال عينيه الـلاهبتين المحمـرتين انبعث خيـال عبد العزيز وصوته يهمس فى أذن عبد الرحمن :

ــ لا ··· لم ندفن بعد الماضى ···؟ »

كفاح عمر مديد انتهى بهذا التعبير الصارخ عن التمزق النفسى ، الماضى الذى سعى لدفنه لم يدفن بعد ، حقيقة مروعة ما أحراها ان تؤكد التمزق الذى يغمر الرواية منذ البداية حتى الكلمة الاخيرة منها ·

وجانب آخر يغمر « دفنا الماضى » هو التصوير الرائع الذى لم يكتب مثيل له عن المجتمعات العربية : وصف مجتمع العبيد : سيدات وفتيات فى سوق النخاسة ، « دار ابن كيران » ، فى قصور البورجوازيين ، فى حفلات كناوة « حفلات الزار » إن التمزق النفسى فى هذا المجتمع الذى احتل فصولا مهمـة من الرواية والذى لم يكتب فى غير « دفنا الماضى » ياخذ طابع الجنس ، تتحدث الأمة منهن وتفكر وهى تحت تأثير الحرمان الابدى · ويلعب « الكناويون » فى حفلات الزار وهم مأخوذون بالشوق الى المجهول ، المجهول الذى تنبعث صوره فى نفوسهم من خلال الحرمان والتطلع ·

رواية « دفنا الماضى » استطاعت ان تتخلص من أسر الاحداث والوقـائع ــ وقد حفلت بالاحداث حتى غصت بها ــ لترسم صورة نفسية رائعة لمجتمع ماقبل

الاستقلال فى المغرب ٠ ان الصورة المجتمعية لا تقدم فى دفنا الماضى فى صورة احداث فحسب ، ولكنها تقدم كذلك فى صورة حياة نفسيــة داخليــة كانت ترسم الطريق أمام الماضى ، ورسمت الطريق أمام أبطال الرواية الذين حاولوا التخلص من الماضى ليدلفوا الى المستقبل ٠ ومن هنا تأتى عبقرية الكاتب الذى قدم هذه الرواية العملاق بهذه الكلمات : هذه الرواية انبعاث لرواسب عديدة من فترات المخاض فى المغرب ٠ هى فترة عاشها شعب بلادى بكل وعيه وتفتحه على العالم الجديد ٠٠٠ ولكنها ككل فترات المخاض كانت مجال صراع نفسى وفكرى ومجتمعى ، اصطدم فيها جيلان كأقوى ما يكون الاصطـدام وانبثـق خلال القلق والصراع والكفاح روح جديد يعتبر مغـرب اليـوم بكل محاسنه ومباذله مدينا له » ٠

عبد الله بن محمد

منهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني

تحقيق وتقديم : الحبيب بلخوجة
عـــرض : جعفـــر مـاجـــد

نشرت دار الكتب الشرقية هذه الايام الاطروحة التي قدمها السيد الحبيب بلخوجة لجامعة الصوربون ونال بها درجة الدكتوراه الجامعية • وموضوع هذه الاطروحة تحقيق لنص منهاج البلغاء وسراج الادباء لابي الحسن حازم القرطاجني وتقديم للنص والمؤلف • صفحات الكتاب ثمان وستون واربعمائة من الحجم الكبير حظ التقديم والتحليل منها ثماني عشرة ومائة صفحة • وحظ النص الاصلي اثنتان وستون ومائتان والبقية للفهارس وتتخلل الكتاب صور من المخطوطة التي حققها الدكتور الحبيب بلخوجة وهي اربع لوحات •

وقد تولى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور تقديم الكتاب فابتهج بظهور المنهاج للناس ، وهي امنية له غالية ورأى في عمل الدكتور الحبيب بلخوجة تحقيق امنية له ثانية هي تمكن اتصال الدراسات الاسلامية بالاساليب الحديثة التي تسير عليها جامعات اوروبا ، فخرج الكتاب في « حلة سيراء ، حسب تعبير الشيخ ــ زيتونية باريسية » •

ويستعرض الشيخ محمد الفاضل بن عاشور امهات الكتب البلاغية باحثا عن مكان المنهاج منها فيرى ان منزلته كمنزلة رسالة الشافعي من علم الفقه ومقدمة ابن خلدون ، للتاريخ ، قد ترك فيه صاحبه ما تناوله الآخرون وتناول هو ما تركوه ، ألم يقل : « قد سلكت في التكلم في جميع ذلك ، مسلكا لم يسلكه احد قبلي من ارباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعر الوصول اليه ، على انه روح الصنعة وعمدة البلاغة » • ففي اي شيء يتفق حازم مع البلاغيين وفي اي شيء يختلف عنهم كان هم الجرجاني وابن رشيق والسكاكي وغيرهم تكوين الملكة البلاغية او ملكة ادراك الاعجاز في القرآن ، اما حازم فلم يقصد الى تعريف البلاغة في ذاتها بل الى فهم روحها ، ولذلك كان الشيخ الفاضل اميل الى تسميته فلسفة البلاغة او روح الصناعة •

ثم يتساءل عن السبب الذي زهد في الكتاب حتى جاء ناقصا مبتورا • ويرى ان ذلك لم يكن الا لان حازم خرج عن جادة البلاغيين ولم يصل يده بيد السابقين من اصحابه بل وقف منهم موقف المهيمن المتعالي فلم يقدر على الثبات

فى المدار الاوسع ، ويدعو فى نهاية المقدمة الى دراسة مزدوجة تقيم جسرا منيعا بين حازم القرطاجنى والبلاغيين • ثم يمهد الدكتور الحبيب بلخوجة بمدخل تبرز فيه اهمية المنهاج من حيث اماطة اللثام عن التأثيرات اليونانية فى صناعة النقد عند العرب اذ كان حازم القرطاجنى من بين القلائل الذين قصدوا الى استخدام الطريقة الهيلينية فى نقد الشعر وتأثروا خاصة بكتاب الشعر لأرسطو •

فمن هو حازم القرطاجنى ؟ ، ثبت للمحقق ان اهم مصادر ترجمته لا تعدو ابن رشيد صاحب «ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى مكة وطيبة» والمقرى صاحب نفح الطيب ، اما الدراسات فمقال لاميليو غارسيا قومز عن حياة حازم القرطاجنى ودراسة للمقصورة بقلم محمد المهدى علام واطروحة لروبرت برنشفيق (Robert Brunshvig) عن شرقى بلاد البربر فى العصر الحفصى واخيرا مقال لعبد الرحمن بدوى عن حازم القرطاجنى ونظريات ارسطو فى البلاغة والشعر •

امتاز العصر الذى عاش فيه حازم بانكسار شوكة المسلمين فى جنوب اسبانيا واتحاد النصارى وتحالفهم على الموحدين هناك وقد انتهز فرديناد الثالث فرصة خروج ابن هود على الموحدين ونشوب الفتن بين هذا الثائر والموحدين وبنى الاحمر ليستولى على قرطبة سنة 633 هـ• فكان لسقوط قرطبة اثر كبير فى الحياة الفكرية ظهر بالخصوص فى هجرة اهل العلم والادب مثل ابن عربى وابن الابار وابن سعيد وغيرهم رغم استمرار بعض النشاط الفكرى فى مراكز ثقافية مشهورة مثل قرطبة ومالقة وغرناطة وبلنسية ومرسية واشبيلية •

فى هذا الوضع السياسى والثقافى ولد حازم بن محمد بن الحسن الاوسى سنة 632 هـ• بمدينة قرطاجنة الواقعة بالجنوب الشرقى من بلاد الاندلس قرب مرسية واشتهر بنسبته اليها فعرف بالقرطاجنى • قضى طفولته وشبابه فى يسر بين قرطاجنة ومرسية طالبا للعلم ثم انتقل الى غرناطة حيث اتصل بعلامة العصر أبى على الشلوبين فوجهه الى العلوم اليونانية والى مصنفات ابن رشد والفارابى وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة • وعرف حازم نكبتين متواليتين الاولى وفاة والده سنة 632 والثانية سقوط قرطبة الذى اثار فزع المسلمين ، فهاجر الى المغرب ، ويرجح الدكتور الحبيب بلخوجة ان اقامته بمراكش كانت خلال سنة 633 • ولم يكن المغرب الاقصى اذ ذاك يفضل الاندلس بوجه من الوجوه ، فقد تقلص ظل الدولة الموحدية وكثر الاضطراب والشغب ولكن الحياة الثقافية كانت مزدهرة بعض الشىء ، فكان حازم شديد الصلة بالادباء المهاجرين من الاندلس يحضر سهراتهم ويغشى مثلهم بلاط الرشيد لينشده مدائحه •

ويبدو ان حازم لم يصبر على الاضطرابات السياسية فارتحل الى تونس وهو

لم يتجاوز الثلاثين ومثل بين يدى أبى زكرياء الاول الحفصى وانشده الشعر ٠ وكانت تونس كعبة القصاد من بلنسية واشبيلية ومالقة وغيرها من مدن الاندلس يأتونها ليمدحوا اميرها فزعين من النصارى مستصرخين ، فرمى عصا الترحال بالعاصمة الحفصية وكان المهاجرون الاندلسيون قد كونوا بتونس عصبة نشيطة فى مجال الادب والعلم اصبحت تحاك لها دسائس المنافسين الا ان حازم استطاع كسب ثقة الامير فدخل ديوان الانشاء وتخرج عليه الكثيرون مثل ابن رشيد والكتانى وابن راشد القفصى ٠ واتصل حازم ببعض الحفصيين بعد المستنصر ابن أبى زكرياء وتوفى بتونس عن ستة وسبعين عاما سنة 684 هـ٠ الموافق سنة 1285 م٠

ويقسم الدكتور الحبيب بلخوجة مصنفات حازم الى ثلاثة اقسام ، قسم أدبى وقسمين علميين أولهما فى النحو وثانيهما فى البلاغة والنقد ٠

اما آثاره الادبية فمنها قصائد لم تجمع فى ديوان ولكن عثر على قسم منها بمكتبة الاسكوريال واغراضها متنوعة يحتل فيها وصف الطبيعة مكانة هامة٠

ومن مدائحه قصيدته الشهيرة : المقصورة وهى ارجوزة تشتمل على ستة والف بيت عارض بها مقصورة ابن دريد ومدح بها المستنصر الحفصى على تجديده الحنايا الرومانية التى تحمل قنوات الماء من زغوان الى تونس وقد حظيت مقصورة حازم بشروح ودراسات كثيرة فى القديم والحديث مثل شرح التجانى وشرح الغرناطى ودراسة محمد مهدى علام وغارسيا قومز الاسبانى ٠

اما آثاره الاخرى فله فى النحو مؤلفان ٠

1) رسالة فى الرد على كتاب المقرب لابن عصفور واسم الرسالة : شد الزنار على جحفلة الحمار ٠ وهى مفقودة ٠

2) قصيدة نحوية ما زالت محفوظة بنصها الكامل فى مجموع مخطوط بالمكتبة الاحمدية بتونس ٠

وله فى البلاغة كتاب (التجنيس) مفقود وله تأليف فى العروض والقوافى لا يعرف ايضا وانما اشار اليه حازم فى المنهاج وله كتابه الخطير : منهاج البلغاء وسراج الادباء ٠

جاء فى وصف المخطوطة التى اعتمدها الدكتور الحبيب بلخوجة ، لتحقيق منهاج البلغاء وسراج الادباء انها ترجع تقريبا الى القرن السابع والثامن وقد تملكها الشيخ بيرم الرابع ثم انتقلت بالشراء الى خير الدين فى رمضان سنة 1285 هـ٠ الذى حبس كل المجموع على المكتبة الصادقية اما بقية المجموع ، فمخطوطتان مكتوبتان بخطين مختلفين ، كتاب القوافى ورسائل العزفى ٠ ومجموعات من شعر حازم القرطاجنى وقصيدته النحوية ٠

وخلاصة البحث ان نسخة المنهاج ناقصة ، ولكن لا سبيل الى تسديد النقص اذ ان النسخة التونسية هي اليوم النسخة الوحيدة وقد كان الكتاب خلال العصور عرضة للتغيير بالاختصار والتبديل حتى لعنوانه ، فالمخطوط التونسي يحمل اسم المناهج الادبية ويرجع الدكتور الحبيب بلخوجة ان هذه التسمية من وضع بعض الناسخين اما اصل التسمية فقد جاء ذكره في كتاب السبكي « عروس الافراح » اذ عده اولا في مصادر تصنيفه واحال عليه بنفس التسمية في التفريق بين التشبيه والاستعارة ٠ اما التسميات التي جاءت عند الصفدي في « الوافي بالوفيات » وعند السيوطي في كتاب « المزهر » وكتاب الاتقان في علوم القرآن » وكتاب « الاقتراح » وعند المقري في كتاب « الازهار » فيتجاوزها محقق المنهاج ويعدها مختصرة قصد تسهيل الاحالة ، فكانت تسمية السبكي أصحها عنده هي التي اعتمدها عند نشر الكتاب ٠

اما صحة نسبة منهاج الادباء وسراج البلغاء الى حازم القرطاجني ، فقد ثبتت بمقارنة اوردها الزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن في الفصلين المسميين الالتفات ونفي الشيء رأسا فهما يتفقان تمام الاتفاق مع ما جاء في المنهاج ، وقد ذكرت فقرات اخرى من المنهاج في غير هذا الكتاب الا انه تستحيل الآن مقابلته بنص حازم نظرا لفقدان القسم الاول من الكتاب ٠ ويرى الدكتور الحبيب بلخوجة انها مطابقة من حيث موضوعها لقسم المنهاج المفقود ٠

ما هي الاقسام المفقودة ؟ اعتمد المحقق للجواب عن هذا السؤال الى اشارات المؤلف وعلى الشواهد المذكورة في كتاب السبكي « عروس الافراح » وكتاب الزركشي « البرهان » ، ومن كل هذا نستنتج ان حازما شغل في هذا القسم المفقود « بالبحث عن الضرائر وبما قصر او طال من العبارات والالفاظ ٠٠ والابتذال والغرابة والتشبيه وشروطه ، والسجع والحكم والامثال وتقدير استعمال بعض الالفاظ والزيادة والقلب ، والالتفات والترتيب في المعاني والاغراض ٠

اما القطعة المنشورة فهي تتركب من اقسام ثلاثة تبحث كلها في صناعة الشعر ، وفي كل واحد من هذه الاقسام اربعة ابواب وقد سمى حازم كل باب منهجا والمنهج يتألف من فصول دعاها بمعلم او معرف ، يتبعها غالبا بملاحظات بلاغية في فصول ختامية سماها مأم او مآم ، حسب الافراد والجمع ، وميز حازم بين الفقر في كل فصل ، فعنون لها بلفظين على التعاقب : اضاءة وتنوير مثال ذلك ما نجده في قسم المعاني ، تبدأ الفقرة التي بين ايدينا بمنهج او باب كما اسلفنا هو :

« المنهج الثاني في الابانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض وما نعتبر به احوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس او منافرة لها » ويندرج تحت هذا المنهج ٠

أ) معلم هو المعلم الدال على طرق العلم باقتباس المعانى وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها الى بعض •

ب) ومعرف دال على طرق المعرفة بانحاء وجود المعانى •

ج) ومعلم آخر دال على طرق العلم بكيفيات مواقع المعانى من النفوس من جهة ما تكون قوية الانتساب الى طرق الشعر المألوفة والاغراض المعروفة عند جمهور من له علم بالطبع ، او ضعيفة الانتساب الى ذلك •

د) ومعرف دال على طرق المعرفة بكيفيات تركيب المعانى وتضاعفها •

هـ) معلم دال على طرق العلم باستشارة المعانى من مكامنها واستنباطها من معادنها •

و) معرف دال على طرق المعرفة بما توجد المعانى معه حاضرة منتظمة فى الذهن على ما يجب ان يكون من بعض عائد الى بعض ، وما به يكون كمال التصرف فيها وفى سائر اركان هذه الصناعة على المذهب المختار •

ز) معلم دال على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعانى والمقارنة بين ما تناظر منها •

وفى كل معلم او معرف ، نجد فقرات كما اسلفنا تسمى على التعاقب : اضاءة تنوير ففى اضاءة المعلم الاول من هذا المنهج الذى ذكرنا اقسامه ذكر للدوافع المحركة للشعر وصلتها باغراضه ، وفى التنوير الذى يلى الاضاءة ذكر للاغراض الشعرية كالمدح والنسيب والرثاء فبينما نجد فى الاضاءة تحليلا للحالة النفسية الحاملة على الشعر لا الارتياح الذى يحرك الى المدح والارتماض الذى يحرك الى الذم ، نتبين فى التنوير اغراض الشعر وابوابه كالمديح والنسيب والرثاء •

وفى خاتمة هذا المنهج ، يجمع حازم ملاحظاته فى مآم اولها « مأم من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم ، ويعنى به المعلم الاخير ، وما تقدم فى المعلم المفتتح به هذا المنهج الذى فيه القول ، وهو المذهب الذى تقصد فيه المطابقة » وفى هذا المأم كذلك فقرات تسمى اما اضاءة او تنويرا •

والقطعة التى حققها الدكتور الحبيب بلخوجة كلها فى المعانى ويقول المحقق : « وليس المقصود بالمعانى عند حازم العلم الذى تعرف به احوال اللفظ العربى التى يطابق بها مقتضى الحال ، ولكن المراد بها لديه البحث فى حقائق المعانى ذاتها واحوالها وطرق استحضارها وانتظامها فى الذهن واساليب عرضها وصور التعبير عنها » اما اقسام هذه القطعة فهى اربعة مناهج او ابواب :

المنهج الاول فى الابانة عن ماهيات المعانى ، وليس فيه الا فقرتان من المعلم الاول نظرا للنقص الذى ذهب بقسم من الكتاب ۰

المنهج الثانى فى طرق اجتلاب المعانى ۰

المنهج الثالث فى فن الاستدلالات وانواعها فى الشعر وقد اكثر حازم فى هذا القسم الاستشهاد بفن الشعر لارسطو مما يدل على تأثره بالطريقة الهيلينية ۰

المنهج الرابع الابانة عن المنازع الشعرية ففى الاول يبحث عن الطبع والملكة الشعرية وفى المنهج الثانى عن قواعد الشعر ، وفى المنهج الثالث عن مراحل تأليف القصيد وفى المنهج الرابع والاخير عن الاسلوب ۰

اما مميزات الكتاب فهى فى نظر الدكتور الحبيب بلخوجة ترتيبه وتفـرده ببعض التسميات مثل معلم ومعرف ولغته المستعصية المتسمة بروح المنطـق والحكمة اما منزلة المنهاج بين كتب النقد ، فهو فى نظر الزركشى ، مع مقدمة التفسير لابن النقيب اتم ما صنف العلماء فى علمى البيان والبديع ومن طريف ما فى المنهاج خروجه عن طريقة القدماء فى النقد واعتماده على اصول البلاغة والمنطق فاستدرك بذلك على ما فاته هذا الباب ، واعتقد ان سرور المثقفين فى تونس سيكون كبيرا بظهور هذا الكتاب النفيس ونرجو ان نرى العديد من محققينا يعجلون بانهاء اطروحاتهم ونشرها بين قراء العـربية حتى يزدهـر العلم ويعود سالف المجد فى الميدان الثقافى ۰

ج ۰ م ۰

أصداء الفكر

• أقاصيص للأطفال :

صدر عن الدار التونسية للنشر ثلاث قصص للأطفال : عرس الخنيفساء تأليف علي بن هادية وبلحسن البليش ـ عنز قيسون والسمكة المغرورة تأليف محمد العروسي المطوى ٠ ونحن نشكر الدار التونسية للنشر على حرصها وتوفقها الى اثراء مكتبة الأطفال بما وفرته من طبع جذاب ٠

• حازم القرطاجني وسراج الأدباء :

يذكر قراؤنا الكرام أننا كنا أشرنا الى صدور كتاب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني بتحقيق وتقديم الحبيب بلخوجة ٠ وفى هذه الايام صدر ضمن منشورات معهد الآداب العربية النص الفرنسي لدراسة أثر حازم بتقديم الأب ديمرسمان ويجد القارىء في باب مطالعات عرضا لهذا الكتاب وسنوافيهم فى عدد قادم بنقد أوفى ٠

• الزيت والتمر :

أنسنا بزيارة الكاتب الليبى عبد الله القويرى المقيم حاليا بتونس وقد أهدانا مشكورا مجموعة من القصص صدرت عن دار المغرب بتونس تحت عنوان « الزيت والتمر » ونجد فى التصدير كلمة رقيقة أهدى بها الكتاب « الى تونس الخضراء ، أرضا طيبة ، أرض التمر ، والزيت الطيب ، كلمات مودة وصدق شعور »

وهذه الاقاصيص « مستوحاة من صميم المجتمع الليبى ، وتصور واقعه الراهن ، بما يضطرب فيه من تصادم حاد بين الحياة التقليدية التى ورثها وتمرس بها ، وبين أساليب الحضارة المعاصرة ومظاهرها المغرية » ٠

نتمنى للكاتب اللطيف إقامة طيبة بتونس بين إخوانه وأصدقائه ٠

• أقاصيص أردنية :

صدر عن الدار التونسية للنشر « أقاصيص أردنية » للكاتب الاردنى الصديق عيسى الناعورى وهى كما قدمها الناشر « تكشف عن أصالة فن الناعورى الذى جمع بين سلامة الاسلوب وطرافة الموضوع » ٠

ونشر هذه المجموعة من القصص لكاتب شقيق يعد بادرة طيبة من الدار

التونسية للنشر حتى تكون ـ كما أكده الناشر ـ « الجسر الواصل بين أدباء المشرق العربى وأدباء المغرب العربى بنشر انتاجهم وتحكم عرى الالتحام بين أدبهم » ٠

◆ **جائزة نوبل لسنة 1967 :**

« ميقال أنجل أستورياس » قصاص وشاعر وصحافى وديبلوماسى من ڤواتمالا هو الذى نال هذه السنة جائزة نوبل فى الآداب وقد أسندت اليه فى السنة الماضية جائزة لينين ٠ فهو كاتب اعترف بنبوغه الشرق والغرب لانه كرس قلمه منذ خمس وثلاثين سنة لاحياء كل ما يتعلق بحضارة الـ « مايا » ، الشبيهة بالحضارة الاغريقية القديمة مع إدماج قضايا العصر والتعمق فيها ٠ ففى كتبه « رجال الذرة » أو « الريح القوية » أو « عيون الدفناء » أو « السيد الرئيس » أو « العطلة الأسبوعية فى ڤواتمالا » نجد الماضى يختلط بالحاضر فقد قال : « لقد سئلت مرات عديدة عن سبب مزج الأسطورة بواقع الأرض ، مزج ما هو بدائى صرف بمظاهر حياة السعة والانطلاق ، وأظن أنه ليس من اليسير التمييز بصفة قطعية بين الغرض الاجتماعى والغرض الذى تحتوى عليه الأسطورة والحياة الضاربة فى القدم ولكنهما ماثلة أمام أعين سكان الڤواتمالا » ٠

وهكذا فان أهم صفة يمكن أن تمتاز بها مؤلفات « أستورياس » هى الأصالة ٠

◆ **طه حسين فى ذكرى ميلاده التاسعة والسبعين :**

أجرت جريدة عكاظ السعودية الصادرة فى 29 اكتوبر 1967 حديثا مع طه حسين بمناسبة مرور تسع وسبعين سنة على ميلاده ٠ وقد تناول الاستجواب موضوعات عديدة أحببنا آقتطاف بعض الأجوبة ٠

سئل طه حسين عن مقياس الشباب فقال :

« الشباب حالة عقلية قبل أن يكون حالة جسمانية ، على الأقل فى ميدان الفكر فالشباب مقياسه عقل مثقف وشعور حساس » ٠

وسئل عن تطوير التعليم فى الأزهر فقال :

« مع الأسف إنى بعيد عن متابعة الأزهر ولا أعرف ماذا يجرى الآن بأكثر مما تنشره الصحف ولقد كنت أنادى بتطوير التعليم الازهرى فى الابتدائى والثانوى بحيث يصبح فى مستوى التعليم فى المدارس الحكومية العادية٠٠مع عناية خاصة بالناحية الدينية ٠ ولقد تطور التعليم الأزهرى فعلا ولكن أكثر مما ينبغى ٠ تطور الى أسوأ ٠ فلكى يتم تطوير التعليم الأزهرى فى المرحلة الابتدائية والثانوية اضطرت الدولة الى انشاء جامعة للأزهر بها كليات للطب

والهندسة والمعاملات الخ ٠٠٠ وهذا اتجاه غير سليم ولا أعرف كيف يمكن أن تصبح كليات للطب والهندسة فى الأزهر إن المسألة لا تخرج عن واحد من اثنين ٠ إما أن يقوم بالتدريس فى هذه الكليات أساتذة من الجامعات الأخرى متخصصون فى فروع الطب والهندسة مثلا وفى هذه الحالة تكون الدراسة تكرارا لما يجرى فى الجامعات العادية ٠ وإما أن يقوم بالتدريس أساتذة من الأزهر وفى هذه الحالة سينقصهم التخصص الفنى المطلوب » ٠

وسئل عن التعليم الجامعى فقال :

« لقد اصبحت عندنا الشهادة الجامعية ورقة طلاق بين الطالب وبين التعليم ، هذا اذا افترضنا ان الجامعات تعطى الآن تعليما هو الآن غير الصحيح ان الاكثار من الطلاب دون ان يقترن ذلك بالاكثار من الاساتذة ٠٠٠ قد حول التعليم الجامعى الى عملية تلقين لا عملية تعليم ٠٠٠ وهذا ما تلاحظه فى عدم اقبال الجيل الجديد على القراءة وبعده عنها ٠٠٠ وبالطبع انعكس هذا فى كل مجال بجانب الادب ٠٠ هناك فارق بين نجيب محفوظ مثلا ٠٠٠ وبين الجيل الجديد من كتاب القصة ٠٠٠ الجيل الذى لا يقرأ ؟ واذا قرأ فليس بغير اللغة العربية واذا قرأ بالعربية فبغير تعمق ؟ »

أما عن الحياة الأدبية بين الماضى والحاضر فيقول طه حسين :

« كانت الحياة الادبية منذ خمسين سنة تتميز بوجود صالونات أدبية كثيرة اذكر منها بنوع خاص تلك التى كانت فى منزل مصطفى عبد الرزاق وايضا صالون مى ٠٠٠ كنا نلتقى مساء كل يوم فى هذه الصالونات ٠٠٠ نتناقش ونتناقش فى أمور الادب والفكر ٠٠٠

وضحك وقال :

« واختفت هذه الصالونات لان اصحابها اختفوا » ٠

هذه أهم الفقرات الواردة فى استجواب طه حسين ٠ ويظهر من أجوبة الأديب الكبير ان السبب الاصلى فى تدهور الأدب هو الظروف التى أصبح يعيش فيها الأدباء والملابسات التى تحف باعداد الشباب الى ولوج الأدب من الباب الكبير ٠ فهل السبب هو هذا ؟ أم أن الخلق الأدبى فى العالم أجمع تهدده أخطار ناجمة عن تطور المجتمعات وتنوع الحاجات وتعدد ألوان الخلق من جهة ، وناجمة عن قصور الأدباء عن مواكبة العصر وسبقه والتجاوب مع متطلباته ؟ أم هناك أسباب أخرى ٠ وعلى كل فهو سؤال يطرح لعله يظفر بجواب ٠

• **القبس :**

مجلة جزائرية تصدرها وزارة الأوقاف نشرت فى العدد الثانى من السنة

الثانية جويلية 1967 المحاضرة التى كان ألقاها الأستاذ محمد الحبيب بلخوجة تحت عنوان « الجهاد فى الاسلام » .

• **مجلة « شعر » :**

عادت الى البروز مجلة « شعر » التى يديرها يوسف الخال وتصدرها دار النهار للنشر وهى حافلة كعادتها بالشعر ولا نقول بالقصائد ومحتوية على عدة مقالات وأخبار تتعلق بعالم النظم . وقد تصدرت العدد كلمة تحت عنوان « عودة » يمكن القول بأنها قطعة من الشعر وجاء فيها :

« ونعود ، بعد توقف أردناه لنتجنب الوقوع فى فخ الزمن . نعود بمزيد من التنوع وقد وسعنا اهتمامنا عبر حدود فن الشعر ، وقد فقدنا فى الطريق بعض أصدقائنا . منهم من مات ، ومنهم من غير رأيه ، ومنهم من نفد صبره ، ومنهم من تركنا لأنه لم يكن يوما معنا » .

ويختتم التصدير بهذه العبارات :

« ولا نعرف شيئا قدر معرفتنا المجهول الذى نحن فيه ، ولا نجهل شيئا قدر جهلنا العالم والأشياء فنحن أطفال . أصابعنا عذراء ، وعيوننا تأتى للمرة الأولى » .

• **تهذيب الأخلاق :**

كتاب تهذيب الأخلاق لأبى على أحمد بن محمد مسكويه المتوفى سنة 421 هـ. 1030 م. حققه الأستاذ قسطنطين زريق من الجامعة الأمريكية ببيروت واستند فى تحقيقه لهذا الكتاب الذى طبع مرات عديدة الى أصول خطية كثيرة وعلق على النص تعليقات مفيدة وأشار الى ما آقتبسه مسكويه عن أرسطو .

• **مجلة الرواد الليبية :**

ورد علينا العدد الأخير من مجلة الرواد الليبية (العدد 9 للسنة الثالثة) حافلا بالمقالات والقصائد فتقرأ مثلا خير الدين التونسى لأنور الجندى ولماذا نخشى الموت لبرتراند روسل ...

• **مجلة الايمان :**

هى مجلة تصدرها جمعية شباب النهضة الاسلامية بالرباط وتختص بنشر دراسات تتعلق بالاسلام وقد ورد علينا أخيرا العدد الخامس والسادس من السنة الرابعة وهو يحتوى مجموعة من المقالات والقصائد منها المحاضرة التى ألقاها الدكتور فاضل الجمالى بمدينة سوسة تحت عنوان رسالة الاسلام فى عالم اليوم وافتتاحية مجلة الفكر (عدد جويلية 1967) وقصيد بربك قل لى للشاعر أحمد اللغمانى .

• **مجلة « دعوة الحق » فى سنتها العاشرة :**

مر على تأسيس مجلة دعوة الحق التى تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية عشر سنوات وقد جاء فى افتتاحية العدد التاسع والعاشر الاخير :

« لقد واجهت « دعوة الحق » منذ نشأتها فى ميدان الفكر والثقافة خلاء فشغلته ، وخللا فى أجهزة التعليم فسدته ، ثم أصبحت حرما آمنا تجبى اليه ثمرات الفكر ، وتحتشد حوله القوة المفكرة فى هذه البلاد ، وتلتقى عنده أقلام الصفوة الراقية ، والتابعين لهم باحسان ، من المثقفين الذين نذروا حياتهم فى سبيل شرف الكلمة وضحوا براحتهم وعافيتهم لانهاض الأدب ، وعملوا – فى اخلاص – على تحريك ساكن الشوق فى الانتاج ، وتخريج طبقة على يدها من الأدباء ٠٠٠ »

ونحن نهنىء المشرفين على المجلة بتوفقهم الى تذليل الصعاب فى سبيل بروز المجلة طيلة هذه المدة ٠ ونتمنى « لدعوة الحق » الحياة الطويلة الخلاقة ٠

• **فضائح فى ديوان ناجى :**

جاء فى العدد الرابع من مجلة الآداب أفريل 1967 ما يلى :

« عرض الاستاذ نور الدين صمود فى هذا المقال لقضية أدبية قديمة هى الخطأ الذى وقع فيه ناشرو ديوان الدكتور ابراهيم ناجى حين ادخلوا فيه بضع عشرة قصيدة للشاعر المصرى الدكتور كمال نشأت ٠ والجديد فى المقال انه تحدث عن « فضيحة اكبر » هى نسبة بعض شعر لعلى محمود طه فى قصته الشعرية « ارواح واشباح » الى ناجى اعتمادا على وجود هذا الشعر منسوبا اليه فى عدد من مجلة العمارة عام 1941 ٠

والحق ان هذا الجانب الجديد من القضية لم يسبق الى كشفه الاستاذ نور الدين صمود ٠ فمنذ اربعة اشهر كتب الاستاذ حسن عبد الرسول فى جريدة الاخبار مقالا نبه فيه الى هذه الحقيقة ثم رد عليه الاستاذ صالح جودت فى مجلة المصور يسخر منه ويصر على نسبة القصيدة الى ناجى ٠ وعاد الاستاذ عبد الرسول فنشر مقالا آخر نقل فيه بالزنكوغراف صورة لغلاف مجلة العمارة وعليه عنوان القصيدة منسوبا الى على محمود طه (المهندس) ٠ فليس صحيحا اذن ما يقوله الاستاذ صمود من ان « جريدة الاخبار او غيرها من الجرائد والمجلات فى مصر لم تنتبه الى وجود قصيدتين فى هذا الديوان للشاعر على محمود طه » ٠

على انا نشكر للاستاذ صمود غيرته على الحقيقة واثارته من جديد لهذه القضية الهامة التى يجب ان تدفعنا الى اعادة النظر فى طريقة نشر تراثنا القديم والحديث » ٠

• **توفيق الحكيم ورأيه فى الناس والاشياء :**

أجرت مجلة شعر (عدد 35) حديثا مع الكاتب المسرحى توفيق الحكيم يتعلق بشؤون عديدة أهمها : المسرح والمرأة • وقد أبدى الكاتب العربى آراء تعود بها قراء مسرحيات الحكيم • غير أن الذى يلفت الانتباه فى هذا الاستجواب هو تفتح هذا الكاتب الى قضايا العصر رغم شيخوخته وتفاؤله بمستقبل الفكر العربى فقال :

« إن هناك فكرا عربيا شاملا اتخذ شكلا وجسما من خلال أنواع الأدب المختلفة ، والقوالب الحديثة ، التى كانت قبل نحو أربعين أو ثلاثين سنة غير مستقرة وغير واضحة وفى خطواتها الاولى على أيدى رواد ومجربين • لكنها اليوم أصبحت شيئا مألوفا وتنتج كل عام مجموعات من الاجيال الموهوبة مما نستطيع معه القول إن الفكر العربى يبشر بمستقبل يحقق آمالنا » •

• **مهرجان الشعر بمدينة القيروان :**

يقام ابتداء من يوم الخميس 30 نوفمبر مهرجان الشعر بالقيروان • وسيكون حافلا بكل ما يتصل بهذا الفن من القاء قصائد ومحاضرات وانعقاد ندوات • نحن على يقين من أن هذا المهرجان سيكون فرصة يلتقى فيها الأدباء فى مدينة عرفت بخصب الأدب فيها وأنه سيساهم فى النشاط الثقافى العام• وموعدنا فى عدد قادم لاعطاء مزيد من التفاصيل•

• **مسابقة القيروان الأدبية :**

من المعلوم أن لجنة التنسيق الحزبى بالقيروان فتحت مسابقة أدبية ، كنا نشرنا تفاصيلها فى عدد سابق وسعيا وراء تمكين أكبر عدد ممكن من الادباء للمساهمة فى المسابقة الادبية ورغبة منهم فى تمديد أجل المسابقة لتقديم انتاجهم الادبى فقد تقرر التمديد فى أجل تسليم الانتاج الادبى الى موفى ديسمبر 1967 •